## نـــــــدوة:

# حقيقة السلفية:
# الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي أنموذجاً .

الاثنين ١٤٢٨/٣/٢٨ الموافق ٢٠٠٧/٤/١٦م .

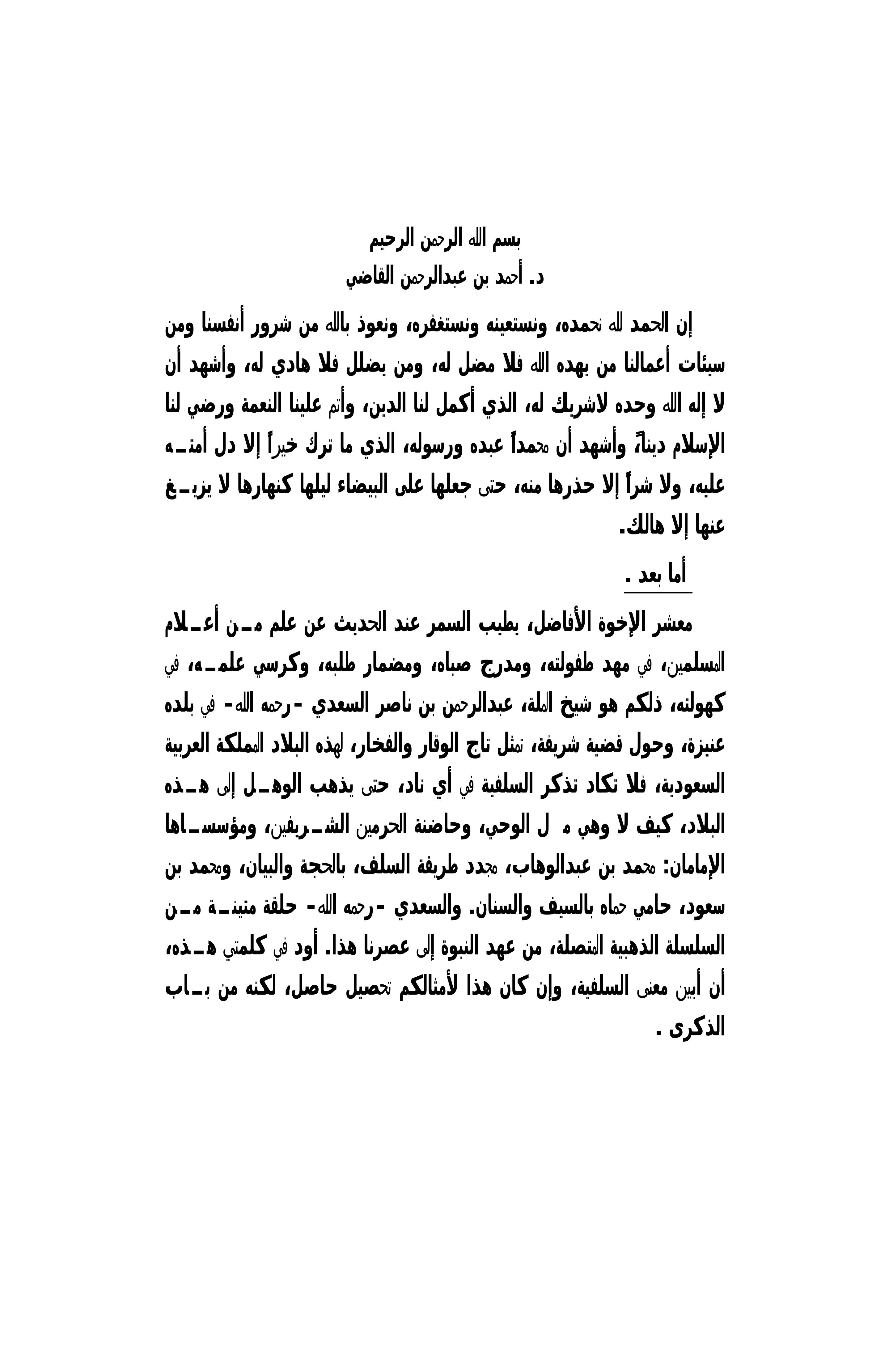
١- الشيخ الدكتور/ أحمد بن عبدالرحمن القاضي.

٢- الشيخ الدكتور/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق.

٣- الشيخ/ محمد بن إبراهيم الحمد.

إدارة الشيخ/ عبدالله بن صالح الحمود.

وذلك ضمن فعاليات مهرجان عنيزة الأول للثقافة والتراث الذي أقيم في مركز صالح ابن صالح الاجتماعي خلال الفترة من١٤٢٨/٣/٢٢هـ إلى ١٤٢٨/٤/٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له، الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي ما ترك خيراً إلا دل أمتـه عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، حتى جعلها على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيـغ عنها إلا هالك.

أما بعد .

معشر الإخوة الأفاضل، يطيب السمر عند الحديث عن علم مـن أعـلام المسلمين، في مهد طفولته، ومدرج صباه، ومضمار طلبه، وكرسي علمـه، في كهولته، ذلكم هو شيخ الملة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- في بلده عنيزة، وحول قضية شريفة، تمثل تاج الوقار والفخار، لهذه البلاد المملكة العربية السعودية، فلا تكاد تذكر السلفية في أي ناد، حتى يذهب الوهـل إلى هـذه البلاد، كيف لا وهي مـ ل الوحي، وحاضنة الحرمين الشـريفين، ومؤسسـاها الإمامان: محمد بن عبدالوهاب، مجدد طريقة السلف، بالحجة والبيان، ومحمد بن سعود، حامي حماه بالسيف والسنان. والسعدي -رحمه الله- حلقة متينـة مـن السلسلة الذهبية المتصلة، من عهد النبوة إلى عصرنا هذا. أود في كلمتي هـذه، أن أبين معنى السلفية، وإن كان هذا لأمثالكم تحصيل حاصل، لكنه من بـاب الذكرى .

**فالسلفية من حيث الاشتقاق اللغوي : مأخوذة، كما قال الجـوهري مـن سلف، يسلُف، سلفاً. أي مضى، القوم السلاف، وهم المتقـدمون، والجمـع أسلاف، والسالف، والسليف هو المتقدم .**

**وأضاف الرازي** في **(مختار الصحاح) قال: السلفية نسبة إلى السلف، وقال ابن جرير** رحمه الله **تعالى** في **قول** الله **تعالى:** ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [ سورة الزخرف، الآية : ٥٦]، **قال : أي مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قومك يا محمد** في **قريش، كفار قومك** لهم **بالأثر. فهذا هو** المعنى **اللغوي** لهذه **اللفظة، فهي تدل علي التقدم الزمني .**

**وأما اصطلاحاً : فالسلف هم أهل القرون الثلاثة الفاضلة، من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان،كما دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري من حديث عمران ابن حصين : (خيركم قـرني ثم الـذين يلو م، ثم الذين يلو م)، قال عمران : لا أدري أذكر النبي صـلى الله عليـه وسلم بعد قرنين أو ثلاثة، فالسلفية إذن، أيها الإخوة هي: الطريقة التي كـان عليها السلف الصالح، في مختلف أبواب الدين، من اعتقـاد وقـول وعمـل وسلوك، وثم في الواقع تسميات مرادفة لمصطلح السلفية، ليست مناقضة لهـا، ولا خارجة عن مدلولها، فمن ذلك: مثلاً أهل السنة والجماعة، فإن أهل السـنة والجماعة، هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي صلى الله عليـه وسـلم، والعمل ا ظاهراً وباطناً، في الأقوال والأفعال والاعتقادات، قال ابن رجـب -رحمه الله-: السنة هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليـه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه الراشدون، مـن الاعتقـاد والأعمـال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون السـنة**

إلا على ما يشمل ذلك كله.

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله- السلف بقوله:

هم المتمسكون بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفـق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعـوهم بإحسـان، وشيخ الإسلام بهذا التعريف ينبه على ملحظ مهم، ويضيف معنى جديداً وهو: أن نفهم نصوص الكتاب والسنة على وفْق فهم السلف الصالح، لا على فُهـوم أهل البدع المحدثة، والأهواء الضالة وإن أحالوا إلى الكتاب والسنة وانتحلـوا طريقة السلف، فما أكثر من يشهر الكتاب والسنة مستدلاً على خطئه أو باطله ولكن العبرة بما فهمه من شهد التنزيل من الصحابة رضوان الله عليهم، ومـن تلقى عنهم من التابعين .

ومما يطلق أيضاً على القومً : أهل الحديث أو أهل الأثر، وذلك نسـبة إلى عنايتهم بالعلم، وحفظهم لميراث النبوة، رواية ودراية.

ومن أسمائهم أيضاً: الفرقة الناجية، نسبة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي سـتفترق علـى ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة " رواه ابن ماجة .

ومن أسمائهم أيضاً: الطائفة المنصورة، لقول النبي صلى الله عليه وسـلم : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " متفق عليه .

إذن هذه التسميات - معشر الإخوة ومن بلغ- تسميات متوافقة ليسـت متعارضة، ولا متناقضة، فالبخاري يفسر الطائفة المنصورة بقوله : هـم أهـل العلم، وعلي ابن المديني -رحمه الله- يقول: هم أهل الحديث، والإمام أحمد يقول

: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم .

وكذلك قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه الغنية : أما الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة، وأهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد وهو: أصحاب الحديث، وقد يتساءل بعض إخواننا، ما السبب في نشوء هذه التسميات؟ مع أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابة " هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا " وقد أجاب على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيناً أن طريقة أهل السنة والجماعة هي: دين الإسلام، الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي حديث أنه قال: " هم على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي "، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة. أي بمعنى: لما صار هذا الاسم واسعاً فضفاضاً، ويتجاذبه أطراف عدة، احتيج إلى نوع تسمية خاصة، للذين يسيرون على الإسلام الخالص النقي من الشوائب، وبناءً عليه فلابد أن نعرف السلفية من خلال معالمها الحقيقية، لا من ناحية الادعاء، وإنما من حيث هي كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وليس هذا في الحقيقة أو أن بسطها، لكنها إشارات عابرة لأمهات الأصول، التي تميز أهل السنة والجماعة والسلفيين، عن غيرهم من الفرق، أجملها بما يلي :

أولاً : التوحيد الخالص لله عز وجل، في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، النقي من شوائب البدع، النقي من شوائب الشرك الأكبر والأصغر، والخفي، فأهل السنة والجماعة هم أهل التوحيد الحق .

ثانياً : الإتباع التام للنبي صلى الله عليه وسلم، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته

فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، وهو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ونبذ البدعة بجميع صورها الأصلية والإضافية.

أما المعلم الثالث : من معالم أهل السنة والجماعة : فهو العلم النافع المستمد من مشكاة النبوة، والاشتغال به رواية ودراية، تحرياً عن الحوادث والمستجدات.

المعلم الرابع : من سماتهم وصفاتهم هو: العمل الصالح بجميع صوره القاصرة والمتعدية، والإحسان إلى الخلق بجميع صور النفع.

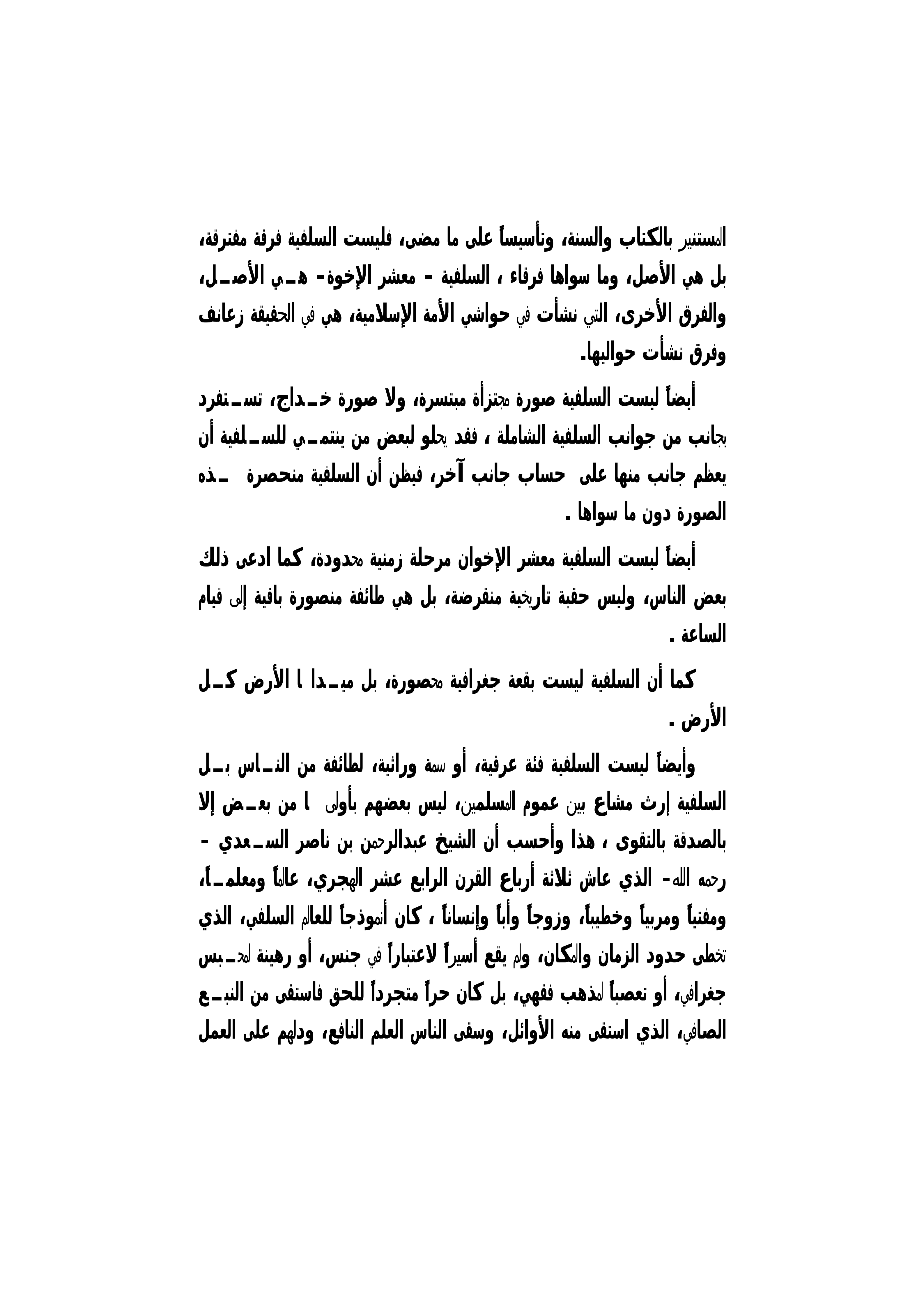
* ومن ذلك أيضاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة المجتمع وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، والدعوة إلى الله .

* ومن ذلك أيضاً: وهي من أجمل خصائصهم: حسن الخلق، واللطف في معاشرة الخلق .

* ومن ذلك أيضاً: لزوم جماعة المسلمين، وطاعة ولاة الأمر بالمعروف، والنصح لهم، وتحريم الخروج عليهم، والحرص على الألفة والاجتماع، والبعد عن الفرقة والنزاع .

تلك أيها الإخوة أهم معالم المنهج السلفي، وأحسب أن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- قد أوتي منها حظاً وفيراً،وعليه فإن السلفية هي: الامتداد الطبيعي لمنهج النبوة، وهي العمود الفقري لجسم الأمة، وهى النسخة الصحيحة المنقحة النقية من البدع والمحدثات لدين الإسلام، وهى المعيار المنضبط، والميزان الدقيق، الذي تعرض عليه جميع المستجدات، وتوزن به جميع الأمور.

وأما أهلها الذين هم السلفيون، فإنهم هم السواد الأعظم، وهم جماعة المسلمين الذين تأوي إليهم عامة فرق المسلمين، ميصدرون عن رأيهم وفتياهم



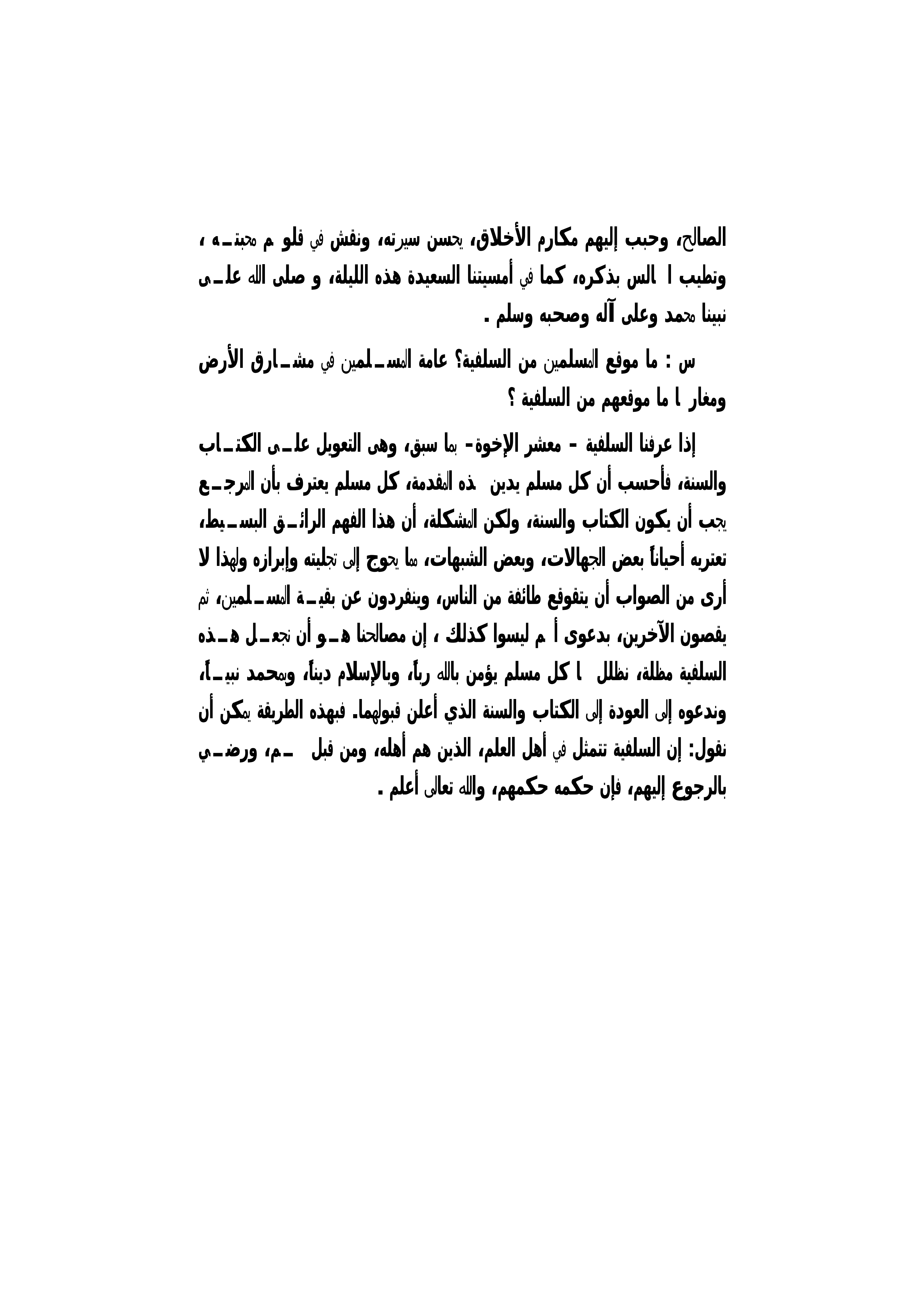
المستنير بالكتاب والسنة، وتأسيساً على ما مضى، فليست السلفية فرقة مفترقة، بل هي الأصل، وما سواها فرقاء ، السلفية - معشر الإخوة- هـي الأصـل، والفرق الأخرى، التي نشأت في حواشي الأمة الإسلامية، هي في الحقيقة زعانف وفرق نشأت حواليها.

أيضاً ليست السلفية صورة مجتزأة مبتسرة، ولا صورة خـداج، تسـتفرد بجانب من جوانب السلفية الشاملة ، فقد يحلو لبعض من ينتمـي للسـلفية أن يعظم جانب منها على حساب جانب آخر، فيظن أن السلفية منحصرة ـذه الصورة دون ما سواها .

أيضاً ليست السلفية معشر الإخوان مرحلة زمنية محدودة، كما ادعى ذلك بعض الناس، وليس حقبة تاريخية منقرضة، بل هي طائفة منصورة باقية إلى قيام الساعة .

كما أن السلفية ليست بقعة جغرافية محصورة، بل ميـدا ا الأرض كـل الأرض .

وأيضاً ليست السلفية فئة عرقية، أو سمة وراثية، لطائفة من النـاس بـل السلفية إرث مشاع بين عموم المسلمين، ليس بعضهم بأولى ا من بعـض إلا بالصدقة بالتقوى ، هذا وأحسب أن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السـعدي - رحمه الله- الذي عاش ثلاثة أرباع القرن الرابع عشر الهجري، عالماً ومعلمـاً، ومفتياً ومربياً وخطيباً، وزوجاً وأباً وإنساناً ، كان أنموذجاً للعالم السلفي، الذي تخطى حدود الزمان والمكان، ولم يقع أسيراً لاعتبارٍ في جنس، أو رهينة لمحـبس جغرافي، أو تعصباً لمذهب فقهي، بل كان حراً متجرداً للحق فاستقى من النبـع الصافي، الذي استقى منه الأوائل، وسقى الناس العلم النافع، ودلهم على العمل



الصالح، وحبب إليهم مكارم الأخلاق، يحسن سيرته، ونقش في قلو م محبتـه ، وتطيب ا الس بذكره، كما في أمسيتنا السعيدة هذه الليلة، و صلى الله علـى نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

س : ما موقع المسلمين من السلفية؟ عامة المسـلمين في مشـارق الأرض ومغار ا ما موقعهم من السلفية ؟

إذا عرفنا السلفية - معشر الإخوة- بما سبق، وهى التعويل علـى الكتـاب والسنة، فأحسب أن كل مسلم يدين ـذه المقدمة، كل مسلم يعترف بأن المرجـع يجب أن يكون الكتاب والسنة، ولكن المشكلة، أن هذا الفهم الرائـق البسـيط، تعتريه أحياناً بعض الجهالات، وبعض الشبهات، مما يحوج إلى تجليته وإبرازه ولهذا لا أرى من الصواب أن يتقوقع طائفة من الناس، وينفردون عن بقيـة المسـلمين، ثم يقصون الآخرين، بدعوى أ م ليسوا كذلك ، إن مصالحنا هـو أن نجعـل هـذه السلفية مظلة، نظلل ا كل مسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيـاً، وندعوه إلى العودة إلى الكتاب والسنة الذي أعلن قبولهما. فبهذه الطريقة يمكن أن نقول: إن السلفية تتمثل في أهل العلم، الذين هم أهله، ومن قبل ـم، ورضـي بالرجوع إليهم، فإن حكمه حكمهم، والله تعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

هذه النفس المطمئنة نفس الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله- رحمة واسعة كانت نفساً طيبة، متصالحة مع ذا ا، ومع مجتمعها، ولذلك ونتيجة لسعة هذا الأفق كان الشيخ -رحمه الله- لم يكن عالماً محلياً، بل كـان -رحمـه الله- عالم أمة، كان عالم أمة تجاوزت اهتماماته محيطه الجغرافي القريب، وطمحت نفسه إلى العلاقة بعموم الأمة الإسلامية، والنظر إليها نظرة استشرافية متفانيـة، فقد كانت تقع بينه وبين الشيخ محب الدين الخطيب –رحمـه الله- مكاتبـات وكان بينه وبين الشيخ محمد رضا مكاتبات أيضاً، وكل زائـر يـزور المكتبـة الوطنية في عنيزة، التي أسسها الشيخ -رحمه الله- يجد مجلة المنار، ويجد تفسـير المنار، بكامل أجزائه يصل إلى الشيخ تباعاً أولاً بأول، وكان له مراسلات أخرى مع علماء المسلمين، في مختلف الأقطار، وكان رحمه الله منغمساً في مجتمعه، إيجابياً في تعامله، يمد رواته إلى جميع الناس، الضعيف والقوي، التابع والمتبوع، وكـان من جملة ذلك ومؤداه أن كانت علاقته مع أولى الأمر من أمراء بلده ومنطقته، علاقة ودية مبنية على التناصح والتعاون والاسترشاد ولقي بحسن تلطفه قبولاً، فقد كانت علاقته مع أمير عنيزة في وقته: الأمير عبدالله الخالد السليم، علاقـة كريمة ودية، وكذلك كانت علاقته مع أمير القصيم في ذلك الوقـت الأمـير فيصل، كانت كذلك مبنية على المحبة والثقة، وفي هذا الصدد، لا يخطئ البصر واقعة حصلت في تاريخ الشيخ في غضون سنة ١٣٥٩هـ، ما يكـاد يـذكر الشيخ رحمه الله إلا وتذكر تلك الحادثة ألا وهي حادثة ( يأجوج ومأجوج ).

ما كتبه الشيخ -رحمه الله- في مسألة يأجوج ومأجوج: كان الشيخ -رحمه الله- يفسر القرآن بين العشائين ويجتمع عنده الرجال والنساء في سطح الجامع

الكبير في فصل الصيف، وكان قد بلغت نوبة الحديث عـن تفسـير سـورة الكهف، فبين الشيخ رحمه الله ما تراءى له من هذه المسالة، في شـأن يـأجوج ومأجوج، وأن القوم ليسوا محجوزين خلف سد يمنعهم من الاتصال بالنـاس، وأ م خلق من بني آدم، وأقام على ذلك الأدلة، وسمع هذا منه بعض الناس ممن لم يستوعب هذه الفكرة، وظن أن فيها أمراً منكراً، وجرى من جـراء هـذه الحادثة نوع محنة، انقلبت إلى منحة وبين يدي أيها الإخوة الكرام، نص وثيقـة، هي في الحقيقة وجادة ينبغي أن أتلوها عليكم، ولا أفسدها بـالتعليق، إذ أ ـا بالواقع تكشف أيضاً عن جوانب من شخصية الشيخ -رحمه الله- وقراءة متأنية لطبيعة هذه الوثيقة وهي عبارة عن رسالة بعث ا الشيخ عبدالله بـن محمـد العوهلي، ورجل هو أحد أقران الشيخ وتلامذته، وهو صاحب وتلميـذ في آن واحد، كان قد بعثها من الطائف في الخامس والعشرين مـن شـهر شـعبان ١٣٦٠هـ إلى فرسان، حيث يقيم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بـن عقيـل، وعنوان لها بالتالي ( بمناسبة إقبال شهر الصيام، نرفع إليكم أجمل التهاني، سائلين الله سبحانه أن يبلغ الجميع صيامه وقيامه، وأن يجعلنا وإياكم من عتقائـه مـن النار، ووالدينا حضرة الأخ المكرم عبدالله بن عبدالعزيز العقيل المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دمتم في خير وسرور بودنا تشريفكم محرر في ٢٥/٦/١٣٦٠هـ تسـرنا صحتكم إلى آخر الديباجة التي ترد في المكاتبات.

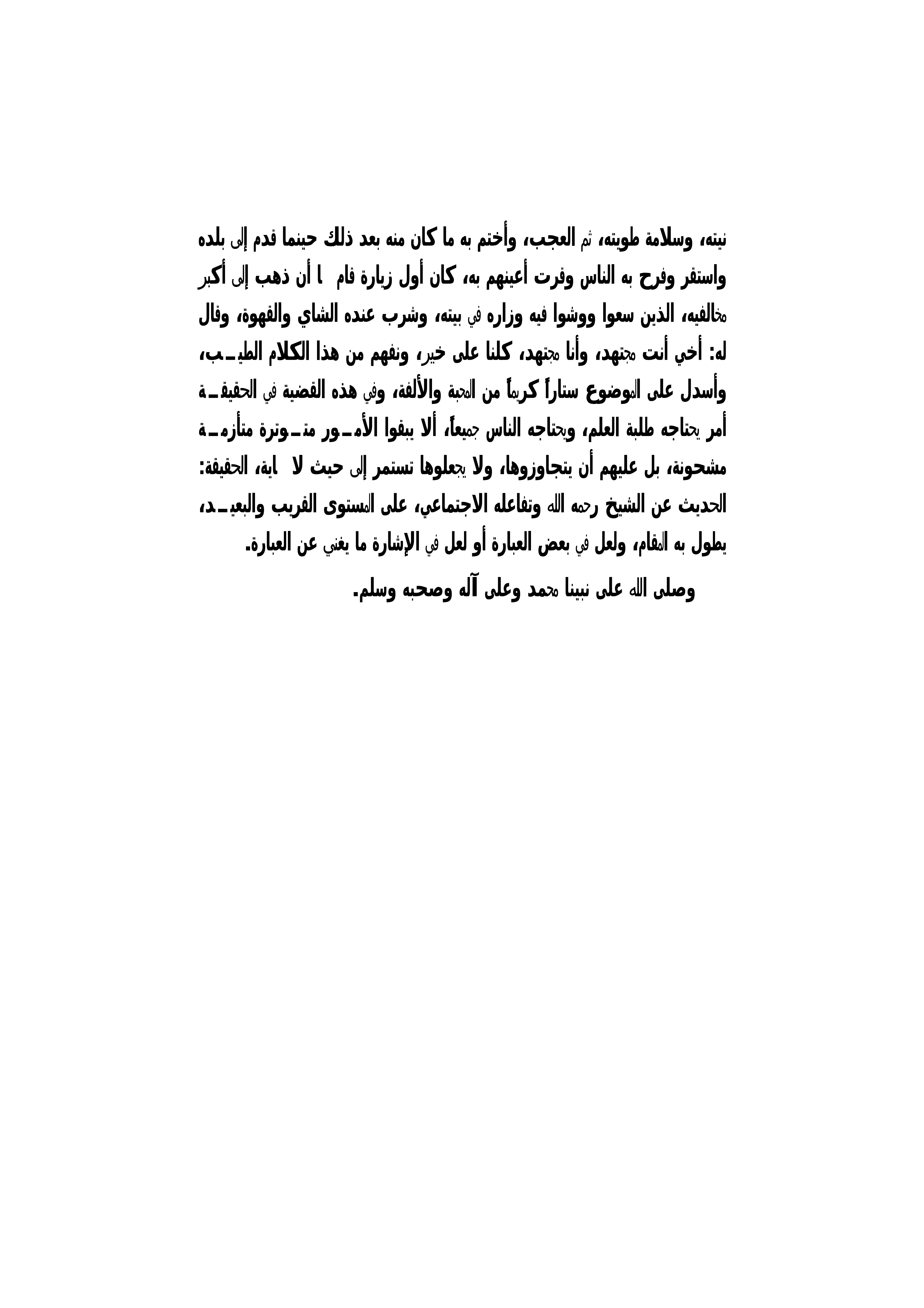
ثم حدثه قائلاً يقول: حدث في الشهر الماضي ما كدر الخواطر، ولكن الحمد لله العاقبة حميدة، وذلك أن بعض المغرورين من الجماعة، قد انتقدوا على الشـيخ عبدالرحمن، والمشتهر منهم: وعد أسماءهم وأنا أطوي ذكرها، وقد بلغ م الأمـر

إلى أن كتبوا إلى فلان أحد العلماء في المنطقة، يعترضون على الشيخ عبدالرحمن على بعض فتاويه، ويعترضون على تفسيره، وعلى كلامه في يأجوج ومأجوج، وأرسلوا إلى فلان المذكور رسالة الشيخ في يأجوج ومأجوج، هذا وهم لم يبحثوا مع الشيخ في شيء أصلاً، ولم يزل الكلام يزيد، حتى قدحوا في تفسيره، وأنه مخالف لمنهج السلف، حسيبهم الله ( حسبهم الله ) ثم إن فلان كتب للمشايخ في الرياض، وجاءت برقية لابن فيصل من الملك، يطلب حضور الشيخ إلى الرياض ولعله يحضر تفسيره معه، وقد انزعج الجماعة كلهم بالاستلحاق بالشيخ، وكذلك الأمير، واجتمعوا وطلبوا أنهم يراجعون الملك، أو أنه يروح جماعة كبار للرياض مع الشيخ، أو.. أو.. يشير إلى جملة مقترحات، ثم عرضوا ذلك على الشيخ، وتأملوا أيها الإخوة في موقف الشيخ -رحمه الله- لتلمس كيف تكون النفس المؤمنة المطمئنة تواجه هذا الأدب، فلئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يبلغه أذى يقول: أوذي أخي موسى بأكثر من ذلك فصبر، فقد أوذي الشيخ –رحمه الله- فصبر.

قال : فلم يزل يسكنهم ويقنعهم، ربنا يمتع فيه، وهو منشرح صدره مطمئن، ومن جملة ما قاله للجماعة: لو خيرني الملك لاخترت القدوم على الرياض، فعسى أن أستفيد وأفيد، والقصد اتباع الحق، إن كان الحق معي فالحمد لله، وإن كنت مخطئاً رجعت والحمد لله . هذا مبدأ عظيم أيها الإخوة، لو رزقه الله كل أحد لانكشف الخلاف، ولاجتمع الناس فلأن يرزق العبد الإخلاص والرغبة في قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان، قال الشيخ : أما الذين انتقدوا على الشيخ فقد سقط في أيديهم ورقة أو ضلوا وندموا لما رأوه من مقت الناس لهم، وصاروا عند الناس مبغوضين جداً، إلى أن قال: وهو شاهد عيان وأشار إلى أنه قد قدم أعني الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العوهلي، كان قد قدم إلى الرياض، في تلك الأثناء

فقال : وقد اجتمعت بالشيخ، وحصل لي الأنس والسرور، وبما حصل لـه مـن الإكرام والعزة في تلك الديار عند الملك والمشايخ، ولما وصل الرياض سلم علـى الملك وأكرمه المشايخ، وعزموه كلهم وأطلعوا على مكارم أخلاقه، ثم قـال: في يوم الخميس حضر المشايخ على العادة عند الملك ثم قال له الملك عبـدالعزيز -رحمه الله-: هاذوله إخوانك المشايخ، تراهم ما قالوا فيك ولا كلمة، وإ ـم والله يمدحونك، وأفعالك جميعها جايزتن لنا، وردد قوله إن المشايخ ما قالوا فيـك ولا كلمة، لا الحاضر منهم ولا الغائب، وأ م يثنون عليك ويحبونك، وهكذا ينبغـي وألا يشتغلوا بإساءة الظن والتنابز بالألقاب، فكان أهل العلم في الرياض، جعلوا الشيخ محل تكريمهم وعنايتهم وحسن ظنهم، ثم قال في رسالته أتركوا البحث في يأجوج ومأجوج، لأن فيه تشويش على الناس بلا فائدة، قال الشيخ : إنني دعيت عنده وقلت: لا بأس أنا قلت، وهذا اجتهاد مني ولا ظنيت أنـه يحصـل فيـه تشويش، وأن علينا أن نترك البحث فيه، ولا هي مسألة حلال وحرام، والأمـر خفيف، هكذا كان موقفه -رحمه الله- لم يجعل من هذه القضية الفرعيـة قضـية مفصلية جوهرية، يقيم الدنيا ولا يقعدها من جرائها، وإنما أمره ولي الأمر بالكف عنها فامتثل، قال الملك: إننا مشغولون بالسفر للقصيم، ولا اجتمعنا فيك، فأنت إن شاء الله خوي لنا بكره، بعد صلاة الجمعة نمشي لأجل نجتمع فيك في البر، قال الراوي: لما صلينا الجمعة، مشى الشيخ مع الشيوخ مكرماً غاية الإكرام حـتى إن الملك أكد على إخوياه هكذا، إن سيارة الشيخ تكون خلف سيارة الملـك، ولا يتقدمها سيارة، ورجع إلى الوطن مسروراً، وكان الجماعة مسرورين من سـروره متع الله بحياته .

هذه الحادثة أيها الإخوة في الحقيقة كما أسلفت محنة انقلبت إلى منحة، قدمت الشيخ وعرفت به في ميادين كثيرة، وعرف فضله وقدره، وذلك بسبب حسـن



نيته، وسلامة طويته، ثم العجب، وأختم به ما كان منه بعد ذلك حينما قدم إلى بلده واستقر وفرح به الناس وقرت أعينهم به، كان أول زيارة قام ا أن ذهب إلى أكبر مخالفيه، الذين سعوا ووشوا فيه وزاره في بيته، وشرب عنده الشاي والقهوة، وقال له: أخي أنت مجتهد، وأنا مجتهد، كلنا على خير، ونفهم من هذا الكلام الطيب، وأسدل على الموضوع ستاراً كريماً من المحبة والألفة، وفي هذه القضية في الحقيقة أمر يحتاجه طلبة العلم، ويحتاجه الناس جميعاً، ألا يبقوا الأمور متوترة متأزمة مشحونة، بل عليهم أن يتجاوزوها، ولا يجعلوها تستمر إلى حيث لا اية، الحقيقة: الحديث عن الشيخ رحمه الله وتفاعله الاجتماعي، على المستوى القريب والبعيد، يطول به المقام، ولعل في بعض العبارة أو لعل في الإشارة ما يغني عن العبارة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدكتور/ عبدالرحمن بن معلى اللويحق**

**الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.**

**أما بعد:**

**فإن الله - عز وجل- امتن على هذه الأمة ببعثة محمد - ﷺ-** ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾**[ آل عمران:١٦٤].**

**فكانت نعمة بعث محمد- ﷺ - أعظم النعم على الأمة وأجلها.**

**وإن من تمام هذه النعمة توريث الله – عز وجل- العلماء علوم هذا النبي الكريم - ﷺ - فكان العلماء هم ورثته القائمون في أمته بمهام البلاغ والتعليم والتوجيه، وبيان حدود الحلال والحرام.**

**ولم يزل العلماء في الأمة، فالأمة ولود، كلما مات منها سيد قام سيد.**

**فالحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم.**

**ولئن كانت المنة على الأمة بعامة منة عظمى، فالمنة على هذه البلاد أخص، بل على هذه البلدة المباركة أخص أيضاً.**

**إذ لا يزال تاريخها حافلاً بعلماء أفذاذ، نقلوا العلم كابراً عن كابر.**

**وهذه الندوة المباركة معقودة لتدارس موضوع شامل، هو ( حقيقة السلفية: الشيخ ابن سعدي أنموذجاً )**

وأحب أن أبتدئ بذكر أن السلفية في حقيقتها: هي السنة، والسنة هـي الإسلام، فلا يقوم إسلام بلا سنة، ولا لزوم للسنة إلا بلزوم منهج السلف.

وحقيقة مذهب السلف مبنية على معرفة السلف، الذين هـم الصـحابة الكرام، وأعيان التابعين، وأئمة الإسلام ممن عرفوا بعظيم الشأن في الدين.

دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضٍ كالخوارج، والـروافض، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية ونحوهم.

وإذ كان الأمر كذلك، فإن لزوم مذهب السلف، هو لزوم لحقيقة الدين، الذي جاء به سيد المرسلين- ﷺ - وإذا تأملنا مذهب السلف، وقارناه بضده -مذاهب أهل البدعة- وجدنا أن حقيقة السلفية أ ا:

- منهج اعتقادي: باعتقاد الحق بتوحيد الله - عز وجـل- في العبـادة والأسماء والصفات، والإيمان بما أخبر الله – عز وجل- به في جملة أخرى مـن أصول الاعتقاد المقررة.

- منهج عملي: وخلاصة ذلك: أن يكون العمل خالصاً لله، موافقاً لسنة رسول الله ﷺ.

- منهج حكم على الخلق: وهذا المنهج قائم كما يقول بعض أهل العلـم على رحمة الخلق، ومعرفة الحق، ومسائل الإيمـان، والأسمـاء، والأحكـام أي: المسلم والكافر، والفاسق والمنافق، أو الحكم بالكفر، والفسوق، والنفاق، ليس ثم مذهب أعدل فيها من مذاهب المبتدعة الذين نزع بعضهم إلى تكفـير أهـل الإسلام، وقتلهم كالخوارج، ونزع آخرون إلى تمييع الدين، فسـلبوه خاصـته وهي الحكم على الناس الخارجين عنه بالكفر، وهم المرجئة.

- وهو منهج تعامل: فهو منهج أخلاقي عادل في التعامل، لم يـ ع مـ ع الغلظة، ولم يتميع، بل جاء بالولاء والبراء ببغض الاعتقاد الفاسد، ومن قام بـه

الاعتقاد الفاسد.

كما جاء بالعدل والإحسان، ولو مع المخالف أو إليه، وجعل لكل شيء من ألوان التعامل وقتاً وقدراً في عدلٍ عدم نظيره في الأديان والمذاهب.

وهذا المذهب مذهب السلف، ليس معنى يقوم بذاته، وإنما قيامه بحملته من أهل العلم، ورؤوس العدول من هذه الأمة.

ولم تزل الأمة على مر تاريخها يتتابع فيها الأئمة الهداة، فقاموا بالدين، وأقاموه في الخلق وأقاموا الخلق عليه، فاهتدوا وبالحق هدوا الخلق ودلوهم.

وأحسب أن الشيخ:( عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي –رحمه الله- ) من رؤوس أولئك.

ولست هنا بصدد أن أترجم له، ترجمة جامدة بالمولد والتاريخ، ولكني سأجتهد في الوقوف عند بعض المعالم من سيرته؛ لتكون المعالم مغرية لطلاب العلم بسلوك سبيله في طلب العلم، والارتقاء في مدارجه؛ ليصبحوا من الراسخين الذين وهبهم الله الحكمة، فإن امرءاً ينظر في فضائل العلماء ودرجتهم من الدين، وما من الله عليهم به، لا يملك إلا الدعاء أن يسلكه الله في سلكهم، ومن ثم يستمر في الطلب، ويجد في التعلم.

ففي التعريف بالعالم دعوة للاقتداء به ومحبته، ومحبة صفات الخير التي ظهرت عليه.

ولكني أمهد لذلك بعرض مجمل لسيرته استفدته من كلام تلامذته والعلماء الذين ترجكوا له –رحمه الله-.

### اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ العلامة الفقيه الأصولي المفسر، المحقق عبد الرحمن بن ناصر بن

عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي التميمي، ويتصل من جهة أمه بأخواله من آل عثيمين.

ولد في بلدة عنيزة في: ١٢/ محرم/ ١٣٠٧هـ.

توفيت والدته وله من العمر أربع سنين، ثم لحق ا والده وله من العمـر سبع سنين، لتكفله زوجة أبيه، التي وجد عندها العناية والرعاية.

في أثناء حمل أمه به رأت رؤيا مفادها: كأ ا تبول في محراب المسجد الجـامع، فقصت رؤياها على زوجها، فقال لها: إن صدقت رؤياك فإنك سـتلدين غلامـاً يكون إماماً في محراب المسجد الجامع، وكان الأمر كما ذكر.

**نشأته:**

لما شب صار في كفالة أخيه الأكبر (حمد بن ناصر السعدي المتوفى سـنة ١٣٨٨هـ)

حفظ القرآن ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده، ومن يأتيها من العلماء وطلبة العلم.

حبه للعلم جعله ينقطع له، فكانت جل أوقاته منصـبة تجـاه التحصـيل العلمي، فانقطع للعلم انقطاعاً لا يكاد يرى إلا في من مضى من سيرة علمـاء السلف.

ولشدة تفوقه ونبوغه صار أقرانه وأصدقاؤه يأخذون العلم عنه.

وبعد تمكنه من مذهبه الحنبلي، صار يكثر الإطلاع علـى كتـب شـيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، لينتقل من خلالهما إلى مرحلة التـرجيح بين الأقوال.

ويلاحظ عليه أنه في أغلب اختياراته، لا يخرج عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

لقد اشتهر -رحمه الله- بأنه كان شديد الحرص على نشر العلم، والقيام بواجب التوجيه والإرشاد، حتى اجتمع عليه الطلبة من البلاد المجاورة لبلده، لاشتهاره بسعة العلم، وحسن الإفادة، وطيب المعشر، وحسن الخلق.

بدأ بالتدريس عند بلوغه الثالثة والعشرين من عمره، وهذا يدل على علو كعبه بالعلم.

ورغم انشغاله بالتعليم والتحصيل إلا أن نفعه كان عاماً وخاصاً، فقد صار مرجعاً لأهل بلده في جميع شؤونهم فهو: المعلم، والواعظ، والخطيب، والمفتي، وكاتب الوثائق والأوقاف، وعاقد الأنكحة.

كما أنه رحمه الله امتاز بأنه رجل اجتماعي، فكان يخالط الأهل والأصحاب والجيران، ويشارك الجميع في أفراحهم، وأتراحهم، لقد أعطى كل ذي حق حقه.

**أبرز مشايخه**:

١- الشيخ محمد العبد الكريم بن صالح الشبل. أخذ عنه الفقه، وأصوله، وعلوم اللغة.

٢- الشيخ عبد الله بن عائض، أخذ عنه الفقه وأصوله، وهما أول مشايخه.

٣- الشيخ صعب التويجري. أخذ عنه الفقه وأصوله.

٤- الشيخ علي بن محمد السناني. أخذ عنه التوحيد.

٥- الشيخ علي بن ناصر أبو وادي، أخذ عنه الحديث، أخذ عنه إجازة بالكتب الستة.

٦- الشيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي. أخذ عنه العربية وفنونها.

٧- الشيخ صالح بن عثمان آل قاضي ، وهو أكثر من لازمه وتأثر به.

٨- الشيخ محمد عبد العزيز المانع، وأخذ عنه العربية.

٩- الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى.

**طريقته في التعليم**:

طريقة واضحة مرتبة مستقيمة، تصلح للطالب المُدرك، والطالب المبتدئ، ليستفيد الجميع.

فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحاً تاماً، ثم يصورها ، ثم يـذكر دليلها مع حكمة تشريعها، فإن كان يراها أقرها، وإلا ذكر القول الذي يختاره بنفس الأسلوب، ثم يقوم بنصرة القول المختار، بالأدلة المناسبة، مع توهين القول المرجوح.

وكان أحياناً يغلط نفسه قصداً، ليرى حضور ذهن الطلبة مـن الشـارد منهم، ثم يبين لهم الصواب.

وكان يجمع الطلبة على كتاب واحد ، وبعد الفراغ يطلب مـن بعضـهم إعادة ما فهموه من شرحه الذي ألقاه عليهم.

كم كان يشجع على العلم، بإعطاء الجوائز على حفظ المتون، والإجابـة على الأسئلة التي يوردها على الطلبة.

**مؤلفاته**:

تنوعت مؤلفاته في أنواع العلوم الشرعية فهي تربو على أربعين مؤلفاً منها:

١- تفسيره الشهير ( تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ).
٢- القواعد الحسان لتفسير القرآن.
٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
٤- توضيح الكافية الشافية.
٥- منهج السالكين.

٦- الإرشاد إلى معرفة الأحكام.
٧- طريق الوصول إلى العلم المأمول.
٨- منظومة في قواعد فقهية.
٩- القواعد والأصول الجامعة.
١٠- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

تلاميذه:

تلامذته كثر رحمه الله أذكر منهم:

١- عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل -حفظه الله-.
٢- محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله-.
٣- محمد بن عبد العزيز المطوع -رحمه الله-.
٤- عبدالله بن عبدالرحمن البسام –رحمه الله-.

وفاته:

بعد عمر طويل دام قرابة ٦٩ عاماً حافلاً بالنفع والعطاء، وخدمة العلم وأهله، توفي قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ بمدينته عنيزة، ودفن بمقبرة الشهوانية شمالي عنيزة.

وبعد هذا العرض المجمل لسيرته، أقف مع جملة معالم ومنائر فيها، آملاً أن تكون سبيلاً للاستفادة والاهتداء.

المعلم الأول: العناية الربانية والاصطفاء:

وقد يعجب السامع لهذا، ولكني أقول أن الله – عز وجل – يخلق ما يشاء ويختار، وإذا تأملت سيرة ابن سعدي، علمت عناية الله به ، فهو يتيم الأم وعمره أربع سنين، ويتيم الأب في سن السابعة، عاش في بيت أخيه ، حفظ القرآن مبكراً، ثم انقطع للعلم.

وفتح الله – عز وجل – له في العلم، فأحاطه الله برعايته وعنايته، فنشأ نشأة صالحة والله –عز وجل– يقول:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[محمد:١٧] .

فمن أقبل على الله وفقه الله، وكم في الناس من أوتي ذكاءً ولم يؤت زكاءً.

وفي هذا درس لطلبة العلم، أن يقبلوا على الله، لعل الله أن يفتح عليهم، وأن يضع لهم القبول في الأرض.

**المعلم الثاني: النصح للخلق:**

يقول النبي -ﷺ : " الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة " قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: " لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم "

وكثيراً ما يجهل بعض الناس النصيحة، ويظنها خصوص الأمر بالطاعة، أو النهي عن المعصية، بينما هذا فرع منه، وإنما النصيحة إرادة الخير للغير.

وأحسب أن قلب ابن سعدي مليئ بإرادة الخير، فهو لا ينفك حياته كلها متقلباً بين أنواع النفع للخلق.

لا يفرق بين صغير وكبير، وبين السوقة والعامة، يلقي درساً، ويؤلف رسالة، ويرسل خطاباً.

وروح النصح بادية في كل سطر من السطور، ولقد قرأت رسائله إلى تلميذه شيخنا العلامة الفقيه: ( عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ) فرأيت أنني لو استخدمت منهج تحليل المضمون، لظهر أن الرسائل كلها نصح وإرادة خير، فهي مليئة بالدعاء، وإظهار الاهتمام والشكر، وإدخال السرور والتبشير والتشجيع، والحث والمتابعة، في طائفة أخرى من المعاني الشاهدة على ما أسلفت.

**المعلم الثالث: حسن التلقي:**

**لقد دأب الشيخ على العلم، فحفظ القرآن صغيراً في الحادية عشرة من عمره، ثم لم يزال يتلقى العلم، فلازم مقدمي علماء بلده بهمة وعزيمة؛ حتى حصل في الزمن الوجيز، مالا يحصله الناس إلا في زمن طويل.**

**وقد تنوع تلقيه بين:**

**١- التلقي المباشر، فأخذ عن جمع من العلماء مثل: ابن جابر، والشبل، والقاضي وابن سليم، وأبو وادي، وابن عيسى، والشنقيطي وغيرهم.**

**٢- التلقي بالقراءة، فاشتغل بالتحصيل عن طريقها، وعكف على كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم، وتأثر بهما تأثراً كبيراً.**

**بل لم يزل منتفعاً بالجديد، من النتاج العلمي، فكانت تصله المجلات الجادة من جهات عديدة في العالم، ويراسل بعض أربابها، بل عجب حين قرأ كتاب ( دع القلق وابدأ الحياة ).**

**وكتب رسالة وجيزة عظيمة، مشتملة على نصح للخلق كبير، هي: ( الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ).**

**المعلم الرابع: حسن النفع للخلق:**

**يظهر ذلك تنوع نفعه فالشيخ – رحمه الله – أوتي ملكة الكتابة فكان مجتهداً في التأليف، فألف وصنف، وجمع وأبدع، وكانت عنايته بذلك مبكرة.**

**ومن أعجب ما علمت أن الشيخ ألف تفسيره وهو في سن: السادسة والثلاثين تقريباً.**

**ومن عرف أن سهولة اللفظ وبيانه في تفسير الشيخ لا يتأتى إلا لمن جمع العلم ووعاه عرف قدر الشيخ وعظيم منزلته في العلم فصياغة العلم في اللفظ الرائق الوجيز صعبة إلا على من ارتقى في مدارج العلم.**

وللشيخ قدم صدق في التربية والتعليم، وكما يقول بعض تلاميذه وهـو الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي:( كان رحمه الله حسن التعليم، فكانت طريقته مثلى، يجمع الطلبة كلهم على كتابين، وبعد انتهاء القـراءة والشـرح، يطلب من ثلاثة من الطلبة إعادة ما يستحضرونه من التقريـر، ليختـبر قـوة حفظهم وفهمهم، ويمنح الجوائز على حفظ المتون وقوة الفهم، والجواب علـى أسئلته التي يطرحها عليهم، ويناقشهم بعد مضي يوم عما سبق شرحه، فهـذه الطريقة تدفع الطلبة على الاهتمام بما يلقيه شيوخهم عليهم.

وكان – رحمه الله- يتعمد أحياناً حين طرحه الأسئلة على طلبتـه تغلـيط نفسه أمام الحلقة، ليرى من هو حاضر الذهن، لتقريره من هو شـارد الـذهن، ولمعرفة الطالب النجيب الفطن من ضده )[ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين:١/٢٢٤ ].

ويقول الشيخ عبد الله البسام:( طريقته في التدريس طريقة فريدة مفيـدة، أخذها عن شيخه محمد أمين الشنقيطي).

فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحاً تاماً، ثم يصـورها، ويـذكر دليلها، وحكمة التشريع منها، فإن كان يراها أقرها.

وإن كان يرى القول الآخر أصح منها، ذكر القول الثاني بنفس الطريقـة، ثم أخذ في نصرة القول الذي يراه، وبيان أدلته، وتوهين القول الذي لا يـراه، حتى يقنع الطالب بما يراه.

كل هذا بأسلوب واضح، وترتيب مستقيم، بحيث إن تفهيمه لا يـنخفض عن مستوى الطالب المدرك، ولا يرتفع عن مستوى الطالب المبتدئ، فالكل منه يستفيد، هذه طريقته في درسه.

أما كلامه على النصوص الكريمة سواء في التفسير، أو في الحديث، فـأمر

عجب، فإنه يستنبط منها من الأحكام والفوائد ما لا يتصوره طالب ) [ علماء نجد خلال ثمانية قرون:٣/٢٢٣ - ٢٢٤].

وللشيخ قدم صدق أيضاً في الرد على المخالفين للحق، ففي عام ١٣٦٦هـ ألف رسالة ( تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله ) وكان في رده متين العلم، قوياً في الحق، أديباً عادلاً غير جائر.

وتأمل قوله في المقدمة لهذه الرسالة أما بعد:

فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي، سماه ( هذه هي الأغلال) فإذا هو محتو على نبذ الدين، والدعاية إلى نبذه، والانحلال عنه، من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم، والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق، والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يلبث الناس في هذا العام، حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب، الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً.

وبعدما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق، انقلب في كتابه هذا من أعظم المنابذين له، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة، لسوابقه، ولسنا بصدد التعرض للأسباب التي دعته لكتابة هذا الكتاب.

وكثير من الناس يظنون به الظنون، التي تدل عليها القرائن، وليست بعيدة عن الصواب؛ لظن بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات الدعاية الأجنبية اللادينية.

ولكن لما كتب هذا الكتاب، وطبعه ونشره بين الناس، وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام، بله غيره من الديانات، والمبادئ الخلقية، فكان هذا أكبر عداء

ومهاجمة للدين، وجب على كل من عنده علم، أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم؛ خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه، حيث كان معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين، ولم يدر ما طرأ عليه من الانقلاب) [ المقدمة: ٣- ٤].

**المعلم الخامس: حسن خلقه:**

يقول عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام:( له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل البشاشة ويحيي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود، ويعطف على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويدلي برأيه ومشورته، بلسان صادق وقلب خالص، وسر مكتوم، ومهما أردت أن أعدد فضائله ومحاسنه، التي يتحلى ا، فإني مقصر وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلا من عاشره وجالسه) [ علماء نجد خلال ثمانية قرون:٢٤٥/٣].

وقضية حسن خلقه أمر استفاض عنه واشتهر، وعند أهل عنيزة من ذلك الخبر اليقين.

و ذا الخلق -والله أعلم- انتفع وارتفع، يقول عنه الشيخ عبد الله بن بسام:( لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبة في القلوب، وثقة في النفوس، فأجمعت البلاد على وده، واتفقت على تقديمه، فصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة، وكلمته مسموعة، وأمره مطاع ) [ علماء نجد خلال ثمانية قرون:٢٤٦/٣]

**المعلم السادس: سعة أفقه:**

فهو –رحمه الله– واسع الأفق، صاحب ثقافة متنوعة الموارد، وإدراك واسع.

وهذا والله أعلم نتاج عوامل عديدة منها:

العامل الأول: ثقافة بلدته، فقد كان أهلها أهل أسفار وانتشار، ولهم صلات بأصقاع من العالم.

العامل الثاني: تنوع مشايخه وتعدد مصادر تعلمهم من قبله، فمنهم:

١- الشنقيطي الذي جال البلدان.

٢- والشيخ: محمد الشبل، الذي أخذ عن علماء الأمصار.

٣- والشيخ: عبد الله بن عائض، الذي درس بمكة ومصر وغيرها.

٤- ومنهم الشيخ: علي بن ناصر أبو وادي، الذي درس على علماء الدعوة، ثم أخذ عن علماء الهند.

٥- ومنهم الشيخ: ابن مانع، الذي درس بالعراق والشام وغيرها.

والعامل الثالث: سعة قراءته وما يرد إليه من علماء الأمصار، يقول عنه الشيخ: عبد الله بن بسام –رحمه الله-:( وما إن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم، فخرج عن مألوف بلده، من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم هي التي فتقت ذهنه ووسعت مداركه، فخرج من طور التقليد، إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل، وصدقه التعليل، ولكنه في الغالب، لا يخرج عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولو حصل له جولة في بلاد العالم، وجالس العلماء والمفكرين، واطلع على ما يقدمه العلم الحديث، من صناعة واختراع واكتشاف، لتفتحت أمامه آفاق واسعة.

ومع هذا فقد كاتب علماء الأمصار، ومفكري الآفاق في جديد المسائل، الأمور العويصة؛ حتى صار لديه محاولة لتطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذا العصر وحوادثه، مما يظهر أسرار الشريعة

واتصاله، بما يجد في العصر الحديث، وهذه بعض همته وعزيمتـه في اكتسـاب العلوم وتحصيلها) [ علماء نجد خلال ثمانية قرون:٣/٢٢٠- ٢٢١].

**المعلم السابع: قوته في الحق:**

فقد كان من كمال خلقه – رحمه الله – قوياً في الحق غير مميع، والقوة في الحق مع الرحمة للخلق مرتقى يصعب على كثير من الناس رقيه، ويجهله كثير من الناس، ويصعب عليهم فهمه.

فكثيراً ما يظن بعض الناس أن ثم تلازماً بين الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر والفتنة، وأن القوة في الأمر بالمعروف والنهي تقتضي الفتنة، وربمـا أدت إلى وقوع البلاء.

كما ينظر بعض الناس إلى مواقف رحمة الخلق، فيظنها تمييعاً للـدين، ولا يمكن أن تجتزأ سيرة إمام كابن سعدي، ليقرأ الرجل من خلال مواقف من نوع محدد، بل تقرأ سيرته كلها.

ليعرف عزمه وحزمه، كما تعرف رحمته ورأفته – رحمه الله -.

والذي يقرأ ردوده، ومؤلفاته يعرف أنه لا يداهن ولا يميع، ولكنه حكـيم يضع الأمور مواضعها.

ومما يبين قوته في الحق ووضوحه في الطرح، مع عدل في القـول، خطبـة في التحذير من المدارس الأجنبية المنحرفة، وهذا عرض لها:( الحمد للّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، تفرد بصفات الكمال، وتنزه عن النقائص والأشباه والأمثال.

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، الكبير المتعال، وأشـهد أن محمدا ﷺ أفضل العالمين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغـر المحجلـين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

أيها الناس اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه، وتحببوا إليه بفعل ما يحبه ويرضيه. واعلموا أن الله من عليكم بدين الإسلام، الذي فيه السعادة والفلاح، والخير كله على التمام. أنقذكم به من الضلالة والشقاء، وأرشدكم به إلى كل خير ورشد وهدى.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿عَظِيمٞ﴾[ آل عمران: ١٠٣-١٠٥].

واحذروا أعداء الإسلام، فإ م لا يزالون يبغون لكم الغوائل، وينصبون لإضلالكم المصائد والحبائل. فأعظم حبائلهم مدارسهم، التي لم تؤسس إلا لإضلال الناس، ولا بنيت إلا لإفساد العقائد والأخلاق، فبئس الأساس.

انظروا إلى آثارها، ومن يتخرج منها، كيف انسلخوا وانحلوا من الدين، وكيف كان الاستهزاء واحتقار الدين مهنة هؤلاء الأرذلين.

فكم أخرجت هذه المدارس المنحرفة من أبناء المسلمين من كانوا للإسلام أكبر الأعداء، ويظن الغالطون أ ا أدوية لأمراضهم، وكانت -والله- أعظم الداء، ويعتبرو ا نافعة لهم في دنياهم، فكانت هي الشر والبلاء، وخرجوا منها منسلخين من أخلاقهم وآدا م وإيما م، متهكمين ومستهزئين بأسلافهم وآبائهم وإخوا م، مستبدلين من الأخلاق الجميلة كل خلق رذيل، منحرفين من الصراط السوي إلى منحرف السبيل.

كيف يرضى مسلم أن يختارها لأولاده، وهم عنده ودائع وأمانات؟ وكيف

يضعهم في شبكة الهلاك؟ فهذا أكبر الخيانات.

وكيف يرضى أن يخسر ولده بسعيه واختياره، ويذهب عمله سدى بل ضرراً إذا باء بغبنه وخياره.

ألم يكن عندكم وفي بلادكم من مدارس الحكومة، ما يحصل به المقصود، وفيها الأساتذة المعروفون بالعلم والدين وبذل المجهود.

ألم تبذل الحكومة لراحة الجميع خير مجهود، ألم تروا من آثار أعمالهم ومنفعة المتعلمين ما هو محسوس ومشهود. ففيم الرغبة بعد هذا في مدارس الأجانب، التي نفعها الدنيوي طفيف بالنسبة إلى ما فيها من الأضرار، وعاقبة المتخرجين منها في الغالب الهلاك والبوار.

كل تعليم لا يقوم على الدين فهو ساقط منها، وكل سعي لا يصلح الأخلاق فهو سفه وخسارة، إذا ذهب الدين فبأي شيء تفرح.

وإذا خسرت الأخلاق الفاضلة فبأي سلعة تربح. وإذا اضمحلت الآداب فمتى تفلح وتنجح.

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الجاثية: ٧- ٨].

ومن خلال دراسة هذا النموذج تبين ما يلي:

١ - اشتمال مقدمة الخطبة على:

أ - حمد الله والثناء عليه بما هو أهله.

ب - الشهادتين.

ج - الصلاة على النبي ﷺ.

٢ - الوصية بتقوى الله عز وجل.

٣ - براعة الاستهلاك بذكر جمل وآيات دالة على عظم منة الله ﷻ على الأمة بهذا الدين العظيم.

٤ - الدخول إلى الموضوع، ببيان أمر كلي عام، وهو التحذير من أعداء الإسلام، وبيان مواصلتهم للكيد والمكر بالمسلمين لإضلالهم.

- الدخول إلى الموضوع، وتوضيح خطورة المدارس الأجنبية، وأنها من أحابيل الكفار في إفساد العقائد والأخلاق.

- الإشارة إلى صفات المتخرجين من هذه المدارس، وجعل هذه الإشارة طريقاً للتخويف من أن يصير أبناء المسلمين الداخلون فيها متمثلين بها.

- تقدير خيانة الأب الذي يرضى لأولاده بدخول هذه المدارس.

- توضيح البديل الموجود، وهو مدارس الدولة التي في داخل البلد التي بذل من أجلها الكثير، والقائمون عليها معروفون موثوقون، وأن في ذلك الغنية.

- معالجة الهدف الذي يريده الناس، بإدخال أبنائهم المدارس الأجنبية المنحرفة، بتقرير أن النفع الدنيوي المضمون في المدارس الأجنبية لا يفرح به، لأن به ذهاب الأديان والأخلاق.

٥ - أن من الملاحظ أن الموضوع يعالج قضية حادثة في المجتمع آنذاك.

٦ - الاختصار في الكلام، والتركيز على موضوع واحد دون تشتيت ذهن السامعين بالدخول في موضوعات متعددة.

٧ - حسن المعالجة للموضوع، وعدم الإعلان بالأماكن والأسماء ونحو ذلك.

٨ - الدلالة على وعي الشيخ بما يدور حوله في مجتمعه، وحرصه على معالجة القضايا المستجدة.

وختم الخطبة بآية قرآنية مع الاستدلال أثناءها ببعض الآيات )

[ موضوعات خطبة الجمعة: ١٣٨-١٤١ مجلة دراسات إسلامية / العدد: ٤/ سنة:١٤٢٢هـ ]

<u>**المعلم الثامن: شمول طرحه – رحمه الله – وتنوعه:**</u>

**وقد قلبت النظر كيف أبين عن هذا ؟ فوجدتني قد كتبت من قبل مثلاً بخطبته – رحمه الله- مستعرضاً فهرست خطب الشيخ – رحمه الله – وقلت ما يدل على ذلك الشمول.**

**فكان مما قلت: ( من خلال عرض هذه الفهرست لخطب الشيخ - رحمه الله تتبدى لنا السمات التالية:**

**١ - التركيز على القضايا الكلية، وأصول الاعتقاد والعمل والأخلاق، ويوضح ذلك ما يلي:**

**أ - بلغت الخطب التي بين فيها الشيخ أصول التوحيد ومنزلته وأهميته اثنتا عشرة خطبة.**

**ب - بلغت الخطب التي بين فيها الشيخ حقوق المصطفى ﷺ وشيئًا من شمائله وسيرته خمس خطب.**

**ج - بلغت الخطب التي تحدث فيها الشيخ عن التقوى وثمارها وعلاماتها، خمس خطب.**

**د - بلغت الخطب التي تحدث فيها الشيخ عن نعم الله ﷻ على خلقه سبع خطب.**

**هـ - بلغت الخطب التي تحدث فيها الشيخ عن القلوب صلاحها وفسادها وأسباب انشراحها وطمأنينتها أربع خطب.**

**هذا على سبيل المثال، والاطلاع على هذه الأرقام في هذه الموضوعات الكلية الأصلية دال على مدى عناية الشيخ بالأصول، فاثنتا عشرة خطبة في**

التوحيد من أصل (١٦٠) خطبة دالة على عنايته بالتوحيد، علماً أني لم أدخل في الاثنتي عشر خطبة، خطباً في موضوعات تتعلق بالعقيدة، مثل التوكل الذي بلغت الخطب فيه أربع خطب.

٢ - مراعاة الظرف الزماني المناسب، وتأتي خطب الشيخ التي راعى فيها الظروف الزمنية على قسمين:

القسم الأول: الخطب الدورية: وهي التي يراعي فيها الشيخ المناسبات مثل: خطبة عن الحج، وخطبة عن رمضان، وعن شهر صفر، وفي أيام جذاذ التمر.

القسم الثاني: الخطب الطارئة: وهي التي يعالج فيها الشيخ أمورا طرأت على المجتمع الذي يعيش فيه، ومن ذلك: خطبته بعد نزول الغيث، وحين زادت الأمطار، وحين حل الجراد بالناس، وخطبته حين وضع مكبر الصوت في المسجد فاستنكره بعض الناس.

٣ - معالجته لقضايا الأمة العامة ومشكلاتها الكبرى.

فقد خطب عن وجوب الاستعداد بالفنون الحربية، وخطب في الجانب الاقتصادي، عن الزجر عن البخس والمعاملات المحرمة، وخطب في الجوانب التربوية والتعليمية بل ركز على ذلك، فمن خطبه:

- خطبة عن تربية البنات، وخطبتان عن تربية الأولاد، وثلاث عن العلم، وخطبة عن المدارس الأجنبية.

٤ - مراعاة المجتمع الذي يعيش فيه، إذ المتأمل للخطب يجد فيها فهما لأحوال المجتمع، ومعالجة لقضايا الناس على اختلاف طبقاتهم، فهو يخاطب الرعاة، وأهل البهائم، في خطبة الحث على إكرام البهائم والنهي عن أذيتها.

ويخاطب المرضى، في خطبة عن الاعتدال في استعمال العلاجات.

ويخاطب الأغنياء، فيحث على الزكاة ويحثهم على مؤونة الأقارب.

ويخاطب المزارعين، بخطبة خاصة في أوان جذاذ النخيل، وأخرى حين حل الجراد بالناس على زروعهم.

ويخاطب الطبقة التي تختلط بالناس، في غير البلاد في ذلك الوقت، بالتحذير من إدخال أبنائهم المدارس الأجنبية المنحرفة.

ويخاطب من أصيب بالقلق، بخطب عن أسباب انشراح الصدر وطمأنينـة القلب.. وهكذا.

٥- شمولية خطب الشيخ لمعظم أصول الدين وأحكامه، وشمولهـا لمعظـم مناحي الحياة.

وبالجملة فإن الناظر في هذا الفهرست يجد أن الشيخ – رحمه الله – كـان ينتقي موضوعاته انتقاء مبنياً على فقه رشيد، بما يناسب الناس، وما يجب أن يبين لهم)[ موضوعات خطبة الجمعة: ١٣٥-١٣٨ مجلة دراسات إسلامية / العدد: ٤/ سنة:١٤٢٢هـ ].

هذا عرض مجمل لسيرة هذا العلم، لعلها أن تكون حاديةً لسلوك طريقـه والنهج جه.

اللهم ارحم الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

واجزه عنا خير ما جزيت عالماً معلماً.

وصلى لله وسلم وبارك على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتـبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

# تعامل ابن سعدي مع النوازل الفقهية .

للدكتور / عبدالرحمن بن معلى اللويحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فإن للدين سمة هي الشمول، وللحياة سمة هي التغير، وبين السمتين ترابط هذا بيانه:

إن شمول الدين وتغير الحياة في المقابل، يقتضيان أن يكون الحكم في الأمور الثابتة - غير القابلة للتغير والتحول – ثابتاً لا يتحول، ولذلك فإن العبادات ثابتة مهما طال الزمان.

فالصفة التي نصلي ا، يصلي ا المسلم، قبل مئات السنين، ولذلك جاء النص واضحاً محدداً وجاء كلام العلماء في ضوئه.

ولكن المعاملات مثلاً، يختلف أمرها فأسلوب تجارتك يختلف كثيراً عن أسلوب بيع السابقين، فاقتضى ذلك أن تكون النصوص في المعاملات في صورة مبادئ وأحكام عامة، تنطبق عليها جزئيات كثيرة.

واعتبر ذلك بحديث ( ى رسول الله - ﷺ - عن الغرر)، فالغرر ألوان منها: في ذات المعقود عليه، ومنها: ما يتعلق بالزمان والمكان، وصيغة العقد وغير ذلك.

وصورة تطبيقاته لا تنتهي بل تمتد بامتداد الحياة.

ووجه آخر: إن الوسائل تختلف باختلاف الزمان والمكان.

ولربما تغيرت صورة العمل بتغير الوسيلة، وكل أولئك لا يمكن أن يستند فيه إلى

نص في حالة معينة، وإنما هو اجتهاد الفقيه، المبني على نصوص الشريعة وقواعدها.

والوقائع منها ما حكمه بين صريح في نصوص الشريعة، ولكن جهل الناس يفضي إلى اضطرا م، وعدم فقههم للأمر.

فتراهم يحرمون ما أحل الله لهم تشديداً على أنفسهم.

هذه مقدمات أردت أن أبين ا لغير المختص ألواناً من المستجدات، الـتي تقع وأ ا وإن جدت إلا أن نصوص الشريعة تشملها.

ولو أردنا أن نعبر عن المستجدات والنوازل بلفظ علمي لقلنا: إ ا المسائل التي استجدت في حياة الناس، مما ليس له نظير في المسائل، أو المسائل التي تغير موجب الحكم عليها، أو التي تغير اسمها عما كان من قبل، أو المركبة من جملـة معاملات كانت في القديم.[ شبير: المعاملات المالية المعاصرة ١٢-١٣ ].

ولقد أظهرت فتاوى الشيخ وآراؤه الفقهية منهجه العلمي الرصين وقدرته المتميزة في معالجتها، وأضع ذلك في معالم [١] .

❁ ❁ ❁

**المعلم الأول: الموازنة بين النصوص والمقاصد:**

فلا شك أن الأصل في الاستدلال على الأحكام كتاب ناطق.

يقول الشافعي – رحمه الله - :( ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل أو حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة أو الإجمـاع أو

(١) استفدت في ذكر هذه المعالم من رسالة فضيلة الدكتور: خالد بن عبد الله المزيني: الفتيـا المعاصـرة ص٧١١ وما بعدها وهي رسالة نال ا درجة الدكتوراه بتميز.

القياس )[الرسالة:٣٩].

وهذا لا بد أن تراعى مع ذلك كليات الشريعة ومقاصدها.

والغريب أن من الناس من أغرق في النظر إلى الجزئيات وبحثها وأغفل كليات الشريعة، فكأنه الناظر من ثقب الباب، وينكر رؤية من لا يراه.

وفي الناس من حكم في المسألة المقاصد والكليات والقواعد تحكيم الغافل عما ورد فيها من النصوص الحاكمة.

وغفل هؤلاء عن الاستجابة لحكم الله ورسوله- ﷺ- وجهلوا أن المقاصد والكليات إنما أخذت من آحاد الأحكام.

فقد عرفنا أن الشريعة تريد حفظ العرض، فحققت ذلك بأحكام من جملتها – مثلاً – فرض الحجاب.

فلا يقال مثلاً أن المقصود هو تحقيق العفة، وسلامة العرض ويمكن أن نحقق ذلك بغير أن تتحجب المرأة المسلمة.

وبكل حال فإن للشيخ منهجه الرصين في ذلك، انظر مثلاً في فتواه على سؤال: هل يسوغ البناء على أصوات البواريد والمدافع ونحوها في الإخبار بدخول الشهر؟ فقال:( الأمر المهم الذي يراد إعلانه و إشاعته والإخبار به على وجه العموم، يسلك فيه كل طريق يحصل به هذا المقصود، فتارة ينادى فيه على وجه التصريح به أو الإجمال، وتارة يعبر عنه بالأصوات التي لها سريان ونفوذ إلى المحال البعيدة، وتارة بغير ذلك مما يحصل به هذا المقصود.

ولم يزل هذا دأب الناس قديماً وحديثاً على هذا مجتمعون، وبالعمل به في الأمور الدينية والدنيوية متفقون، وقد أقرهم الشارع عليه، بل وردت أصول

من شرعه تدل عليه، فكل ما دل على الحق والصدق والخبر الصحيح مما فيه صلاح دين العبد، فإن الشارع يقبله ويأمر به ويحث عليه، فالشارع لا يرد خبراً صحيحاً بأي طريق وصل، ولا ينفي حقاً بأي طريق دلالة ظهر، خصوصاً إذا استفاض ذلك الخبر، واحتفت به القرائن المتنوعة.

فاستمسك بهذا الأصل الكبير فإنه نافع في مسائل كثيرة، ويمكن أن تطبق عليه كثيراً من الجزئيات والأنواع والأفراد الواقعة، والتي ستقع ولا يقصر فهمك عنه فيفوتك علم كثير.

وربما ظننت أن كثيراً من الأشياء التي لا تجد لها تصريحاً في كلام الشارع بدعاً لا يعتمد عليها ولا يعول في الأمور عليها، فتخالف الشرع والعقل والفطرة، بل لا تتمكن من العمل إلا بسلوك ذلك الأصل الشرعي.

فإذا فهمت هذا الأصل ، فقد علم وتقرر أن أهل البلد الذين يجرون على الأحكام الشرعية في صومهم فطرهم وعباداتهم وعندهم قاض شرعي، متى ثبت عندهم بالطريق الشرعي، ثبوت صيام رمضان، أو وجوب الفطر منه، ولم يدر عن هذه الطريق التي ثبت فيها الحكم الشرعي إلا من مباشرها، من قاض ومن اطلع على حكمه وعنايته، والباقي من أهل القطر، بل من أهل البلد، إنما يصل إليهم الخبر بما يثبت به الخبر من إشاعة وقالة يتناقلونها فيما بينهم، أو نداء يتنادون به، أو يرمون ببواريد أو مدافع ليصل الخبر إلى القريب والبعيد، فهذا عمل متصل في قرون هذه الأمة معمول به من غير نكير من أحد )[الأجوبة النافعة:٣٢١-٣٢٢].

ثم قوله: ( يؤيد هذا أن من قواعد الشريعة: أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومالا يحصل تمام الشيء إلا به فهو من الشيء، ومتى ثبتت هذه

الأحكام الشرعية عند أولياء الأمر وجب عليهم أن يبثوها على الناس بحسب قدرتهم ويخبروا الناس ليصوموا ويفطروا )[ الأجوبة النافعة: ٣٢٤]

وقوله: ( ومما يدل على ذلك : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أكبر واجبات الدين، وذلك نوعان:

إما وعظ للمعرضين والمعارضين.

وإما تعليم وإرشاد للجاهلين.

وهذا النوع قسمان:

إما تعليم لما جهله الناس من الأمور الشرعية الأصولية والفرعية.

وإما أخبار بما ثبتت به الأحكام الشرعية.

وفائدة هذا القسم تنفيذ الحكم الشرعي وحصول العمل به، فكل خبر عن الحكم الشرعي الذي قد عرف الناس حكمه ولم يعلموا عن ثبوته فهو داخل في هذا النوع ) [الأجوبة النافعة:٣٢٦-٣٢٧].

وكان رحمه الله على صعيد التأليف حريصاً على هذا المجال يقول – رحمه الله -:( ولي مدة طويلة وأنا أجمع مجموعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو القواعد، وذلك إذ قد عرفت عناية الشيخ – رحمه الله- في القواعد والأصول والضوابط فكنت أتتبع كتبه كلها منذ وقت، فكلما مر علي قاعدة، أو أصل، أو ضابط أكتبه بعبارته من غير تغيير.

وقد يسر الله تمامه في هذه الأيام، وبلغ قريب كتابه الخلاصة أو يزيد، لعل الله أن ييسر نقله، والظاهر أنه يصير أنفس مجموع لأهل العلم والتحصيل؛ لأن فيه قواعد أصولية في أصول الدين، وفي أصول الفقه، وفي أصول الأحكام، وفي

أصول الأخلاق، وفي أصل الرد على المبطلين.

وكل أصل مر علي في كتب شيخ الإسلام أثبته بحسب الاجتهاد، وكملته بتكميل من الأصول التي في كتب ابن القيم لم يذكرها الشيخ، فبلغ الجميع ما يزيد على ألف، ما بين أصل وقاعدة وضابط.

ولكنه – كما ذكرت لك – فائدته العظيمة لأهل العلم والتحصيل، أما جمهور الناس فربما كان غيره أنفع لهم منه ) [الأجوبة النافعة:٢٧٣-٢٧٤].

**المعلم الثاني: الموازنة بين المصالح والمفاسد:**

فذوو الرسوخ من أهل العلم يقدرون كل عمل بقدره في الشريعة، ويعرفون سنة الله في خلقه بتفاوت الأعمال حسناً وقبحاً بحسب تفاوت مراتبها صلاحاً وفساداً. [انظر: ابن تيمية: الفتاوى:٢٣٣/٣٣].

ويعلمون أنه على رتب المصالح تترتب الفضائل في الدنيا والأجور في العقبى، وعلى رتب المفاسد تترتب الصغائر والكبائر وعقوبات الدنيا والآخرة [ العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام:٢٤/١].

والشيخ رحمه الله له منهجه الجاري على سنن أهل العلم في ذلك، وله كلام كثير في ذلك، وتطبيقات عديدة ، لكني أذكر هنا كلاماً له – رحمه الله- في التعليق على كتاب صدر لأحد العلماء وفيه الفتوى بمسألة مخالفة لما عليه الناس في ذلك الزمان.

يقول – رحمه الله -:( فأنت إذا وازنت بين استدلال صاحب الرسالة واستدلال الجمهور رأيتها متقاربة إن لم تقل: تكاد أدلته ترجح.

ولكن الكلام في المناظرة والمذاكرة، والتعلم التعليم له حال، وهو النظر إلى الأدلة والترجيح بقطع النظر عن الأمور الأخرى.

والكلام في الفتوى كما تراعى فيه الترجيح فيراعى أيضاً فيه حالة الوقت وعمل الناس ومراعاة المصالح والمفاسد.

فلو أن صاحب الرسالة لم يفت وينشر فتواه التي رجحها واعتقدها، لكان أولى فيما يظهر لي، وذلك لأنه حصل فيها ضجة كبيرة لم تسفر إلا عن نـوع اعتراضات كثيرة، وأمور تقع في القلوب، وخوض العالم وغير العالم، ومخالفـة الرأي العام في الفتوى، وكون فتواه مع ذلك – فيما يظهر – لا يكون لها عمل إلا في أفراد من الناس.

فالفتوى يتعين على المفتي أن يراعي فيها جميع النواحي، فكم توقف كـثير من أهل العلم عن الإفتاء فيما يعتقدون لأغراض من جنس ما ذكرته) [الأجوبة النافعة:٣٣٤-٣٣٥].

ومن اعتباره للمصالح قوله في إجابة على سؤال: هل يجوز شق بطن الميتـة لإخراج الحمل الحي ؟

يقول:( يجوز للمصلحة، وعدم المفسدة، وذلك لا يعد مثلة، ولقد سـئلت عن امرأة ماتت وفي بطنها ولد حي، هل يشق بطنها ويخرج، أم لا ؟

فأجبت: قد علم ما قاله الأصحاب رحمهم الله ، وهو أ م قالوا : فإن ماتت حامل وفي بطنها ولد حي، حرم شق بطنها، وأخرجه النساء بالمعالجات وإدخال اليد على الجنين ممن ترجى حياته، فإن تعذر، لم تدفن حتى يموت ما في بطنـها، وإن خرج بعضه حيا، شق للباقي، فهذا كلام الفقهاء بناء على أن ذلك مثلـة بالميتة، والأصل تحريم التمثيل بالميت ، إلا إذا عارض ذلـك مصـلحة قويـة متحققة، يعني إذا خرج بعضه حيا، فإنه يشق للباقي، لما فيه من مصلحة المولود، ولما يترتب على عدم الشق في هذه الحالة من مفسدة موته، والحي يراعى أكثـر

مما يراعى الميت، لكن في هذه الأوقات الأخيرة حين ترقى فن الجراحة ، صـار شق البطن أو شيء من البدن لا يعد مثلة ، فيفعلونه بالأحياء برضاهم ورغبتهم بالمعالجات المتنوعة ، فيغلب على الظن أن الفقهاء لو شاهدوا هـذه الحـال ، لحكموا بجواز شق بطن الحامل بمولود حي وإخراجه، وخصوصـا إذا انتـهى الحمل، وعلم أو غلب على الظن سلامة المولود، وتعليلهم بالمثلة يدل على هذا، ومما يدل على جواز شق البطن وإخراج الجنين الحي أنه إذا تعارضت المصـالح والمفاسد، قدم أعلى المصلحتين، وارتكب أهون المفسدتين، وذلك أن سـلامة البطن من الشق مصلحة، وسلامة الولد ووجوده حيا مصلحة أكـبر، وأيضـا فشق البطن مفسدة، وترك المولود الحي يختنق في بطنها حتى يموت مفسدة أكبر، فصار الشق أهون المفسدتين، ثم نعود فنقول: الشق في هذه الأوقات صـار لا يعتبره الناس معلة ولا مفسدة، فلم يبق شيء يعارض إخراجـه بالكليـة ، والله أعلم )[ الفتاوى السعدية:١٨٣-١٨٤].

**المعلم الثالث: حسن التصور للمسائل حتى لو كانت جديدة:**

ولا أجد أبلغ من كلام الشيخ نفسه- رحمه الله- في الإجابة عن سؤال هل يجوز أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في إنسان آخر مضطر إليه برضى من أخذ منه ؟

قال -رحمه الله-:( جميع المسائل التي تحدث في كل وقت ، سواء حدثت أجناسها أو أفرادها، يجب أن تتصور قبل كل شيء، فإذا عرفت حقيقتها، وشخصت صفا ا، وتصورها الإنسان تصوراً تاماً بذا ا ومقدما ا ونتائجها، طبقت على نصوص الشرع وأصوله الكلية ، فإن الشرع يحل جميع المشكلات، مشكلات الجماعات والأفراد، ويحل المسائل الكلية والجزئية، يحلها حلاً مرضياً

للعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، ويشترط أن ينظر فيه البصير من جميع نواحيه وجوانبه الواقعية والشرعية، فنحن في هذه المسألة قبل كل شيء نقف على الحياد حتى يتضح لنا اتضاحاً تاماً للجزم بأحد القولين، فنقول : من الناس من يقول : هذه الأشياء لا تجوز، لأن الأصل أن الإنسان ليس له التصرف في بدنه بإتلاف أو قطع شيء منه أو التمثيل به، لأنه أمانة عنده لله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [ سورة البقرة: الآية ١٩٥ ] والمسلم على المسلم حرام، دمه، وماله وعرضه .

أما المال، فإنه يباح بإباحة صاحبه، وبالأسباب التي جعلها الشارع وسـيلة لإباحة التملكات .

وأما الدم، فلا يباح بوجه من الوجوه، ولو أباحه صاحبه لغيره، سواء كان نفساً أو عضواً أو دماً أو غيره، إلا على وجه القصاص بشروطه، أو في الحالـة التي أباحها الشارع، وهي أمور معروفة ليس منها هذا المسئول عنه.

ثم إن ما زعموه من المصالح للغير معارض بالمضرة اللاحقة لمن قطع منه ذلك الجزء، فكم من إنسان تلف أو مرض ذا العمل ، ويؤيد هذا قول الفقهاء: مـن ماتت وهي حامل بحمل حي، لم يحل شق بطنها لإخراجه، ولو غلب على الظـن، أو لو تيقنا خروجه حياً، إلا إذا خرج بعضه حيا ، فيشق للباقي ، فإذا كان هـذا في الميتة، فكيف حال الحي ؟ فالمؤمن بدنه محترم حيا وميتا ، ويؤخذ هذا أيضا أن الدم نجس خبيث، وكل نجس خبيث، لا يحل التداوي به، مع ما يخشى عند أخـذ دم الإنسان، من هلاك أو مرض، فهذا من حجج هذا القول .

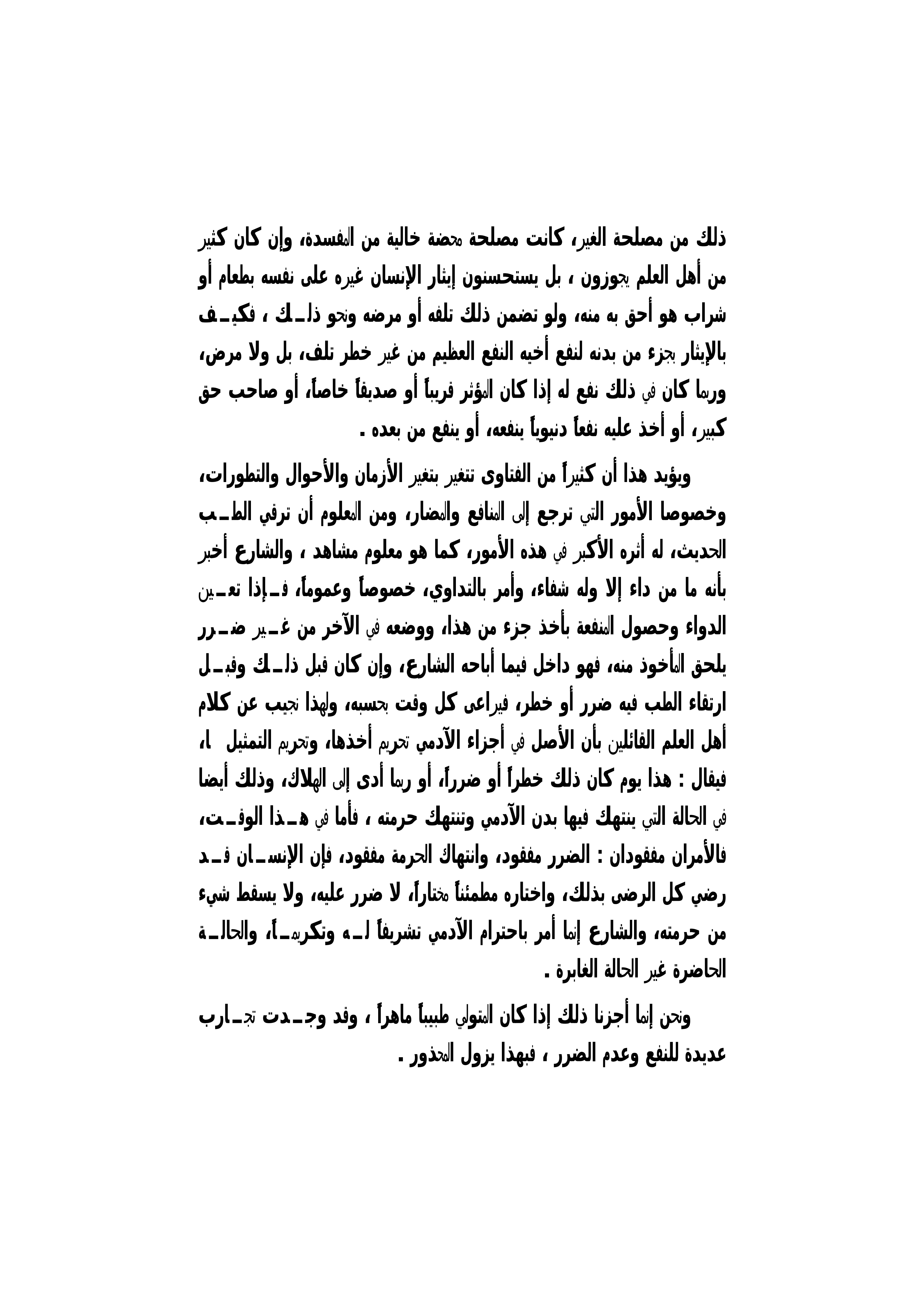
ومن الناس من يقول: لا بأس بذلك، لأننا إذا طبقنا هذه المسـألة علـى الأصل العظيم المحيط الشرعي، صارت من أوائل ما يدخل فيه، وأن ذلك مباح،

بل ربما يكون مستحباً، وذلك أن الأصل إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والمنافع والمضار، فإن رجحت المفاسد وتكافأت، منع منه، وصار درء المفاسد في هذه الحال أولى من جلب المصالح، وإن رجحت المصالح والمنافع على المفاسد والمضار، اتبع المصالح الراجحة، وهذه المذكورات مصالحها عظيمة معروفة، ومضارها إذا قدرت ، فهي جزئية يسيرة منغمرة في المصالح المتنوعة .

ويؤيد هذا أن حجة القول الأول، وهي أن الأصل أن بدن الإنسان محترم لا يباح بالإباحة، متى اعتبرنا فيه هذا الأصل، فإنه يباح كثير من ذلك للمصلحة الكثيرة المنغمرة في المفسدة بفقد ذلك العضو أو التمثيل به، فإنه يباح لمن وقعت فيه الآكلة التي يخشى أن ترعى بقية بدنه، يجوز قطع العضو المتآكل لسلامة الباقي، وكذلك يجوز قطع الضلع التي لا خطر في قطعها، ويجوز التمثيل في البدن لشق البطن أو غيره، للتمكن من علاج المرض، ويجوز قلع الضرس ونحوه عند التألم الكثير، وأمور كثيرة من هذا النوع أبيحت لما يترتب عليها من حصول مصلحة، أو دفع مضرة .

وأيضا فإن كثيرا من هذه الأمور المسئول عنها، يترتب عليها المصالح من دون ضرر يحدث، فما كان كذلك ، فإن الشارع لا يحرمه، وقد نبه الله تعالى على هذا الأصل في عدة مواضع من كتابه، ومنه قوله عن الخمر والميسر: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [ سورة البقرة: الآية ٢١٩].

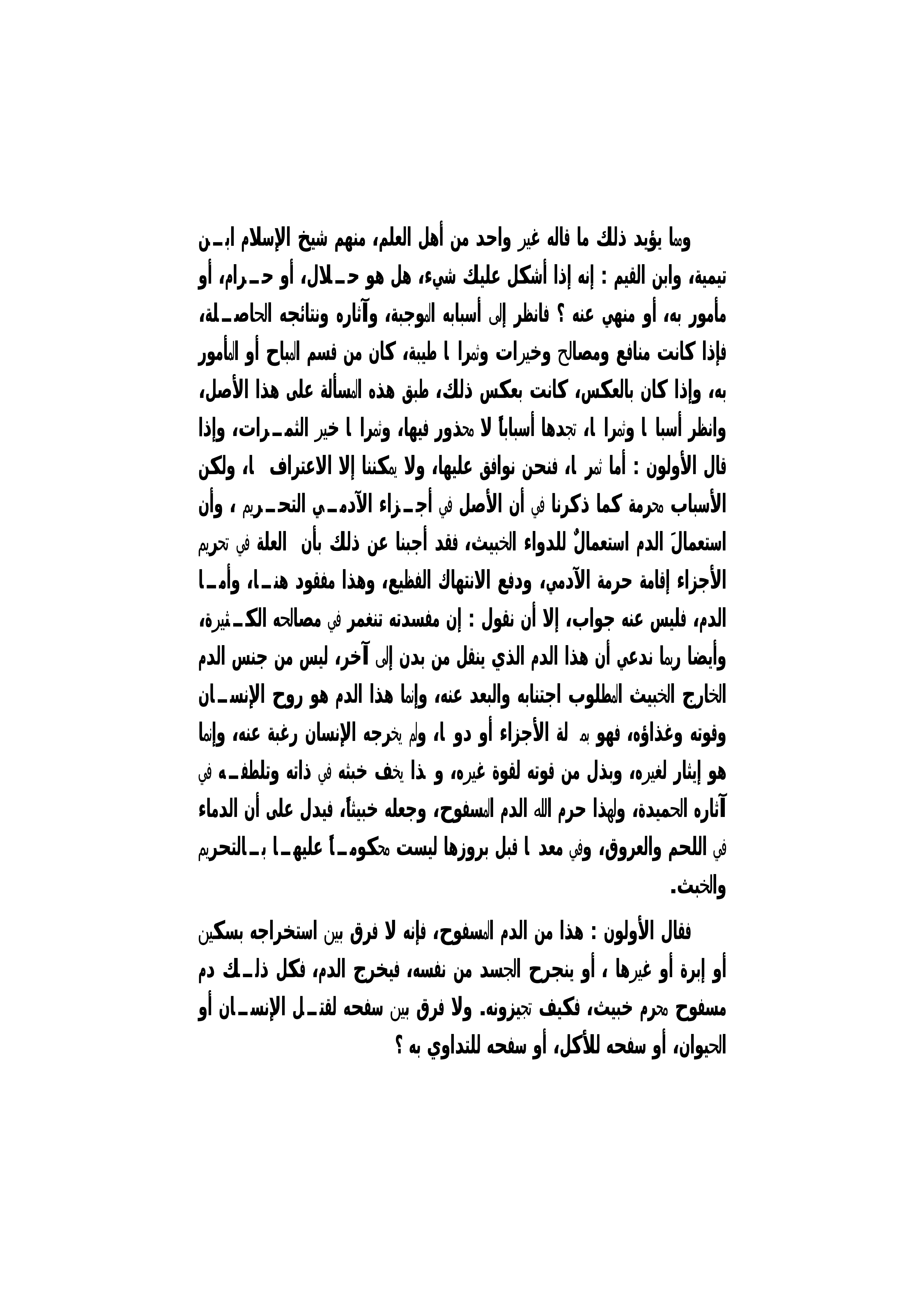
فمفهوم الآية أن ما كانت منافعه ومصالحه أكثر من مفاسده وإثمه، فإن الله لا يحرمه، ولا يمنعه، وأيضا فإن مهرة الأطباء المعتبرين متى قرروا تقريراً متفقاً عليه، أنه لا ضرر على المأخوذ من جسده ذلك الجزء ، وعرفنا ما يحصل من



ذلك من مصلحة الغير، كانت مصلحة محضة خالية من المفسدة، وإن كان كثير من أهل العلم يجوزون ، بل يستحسنون إيثار الإنسان غيره على نفسه بطعام أو شراب هو أحق به منه، ولو تضمن ذلك تلفه أو مرضه ونحو ذلك ، فكيف بالإيثار بجزء من بدنه لنفع أخيه النفع العظيم من غير خطر تلف، بل ولا مرض، وربما كان في ذلك نفع له إذا كان المؤثر قريباً أو صديقاً خاصاً، أو صاحب حق كبير، أو أخذ عليه نفعاً دنيوياً ينفعه، أو ينفع من بعده .

ويؤيد هذا أن كثيراً من الفتاوى تتغير بتغير الأزمان والأحوال والتطورات، وخصوصا الأمور التي ترجع إلى المنافع والمضار، ومن المعلوم أن ترقي الطب الحديث، له أثره الأكبر في هذه الأمور، كما هو معلوم مشاهد ، والشارع أخبر بأنه ما من داء إلا وله شفاء، وأمر بالتداوي، خصوصاً وعموماً، فإذا تعين الدواء وحصول المنفعة بأخذ جزء من هذا، ووضعه في الآخر من غير ضرر يلحق المأخوذ منه، فهو داخل فيما أباحه الشارع، وإن كان قبل ذلك وقبل ارتقاء الطب فيه ضرر أو خطر، فيراعى كل وقت بحسبه، ولهذا نجيب عن كلام أهل العلم القائلين بأن الأصل في أجزاء الآدمي تحريم أخذها، وتحريم التمثيل ا، فيقال : هذا يوم كان ذلك خطراً أو ضرراً، أو ربما أدى إلى الهلاك، وذلك أيضا في الحالة التي ينتهك فيها بدن الآدمي وتنتهك حرمته ، فأما في هذا الوقت، فالأمران مفقودان : الضرر مفقود، وانتهاك الحرمة مفقود، فإن الإنسان قد رضي كل الرضى بذلك، واختاره مطمئناً مختاراً، لا ضرر عليه، ولا يسقط شيء من حرمته، والشارع إنما أمر باحترام الآدمي تشريفاً له وتكريماً، والحالة الحاضرة غير الحالة الغابرة .

ونحن إنما أجزنا ذلك إذا كان المتولي طبيباً ماهراً ، وقد وجدت تجارب عديدة للنفع وعدم الضرر ، فبهذا يزول المحذور .



وﳑا يؤيد ذلك ما قاله غير واحد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم : إنه إذا أشكل عليك شيء، هل هو حلال، أو حرام، أو مأمور به، أو منهي عنه ؟ فانظر إلى أسبابه الموجبة، وآثاره ونتائجه الحاصلة، فإذا كانت منافع ومصالح وخيرات وثمراتها طيبة، كان من قسم المباح أو المأمور به، وإذا كان بالعكس، كانت بعكس ذلك، طبق هذه المسألة على هذا الأصل، وانظر أسبابها وثمراتها، تجدها أسباباً لا محذور فيها، وثمراتها خير الثمرات، وإذا قال الأولون : أما ثمرها، فنحن نوافق عليها، ولا يمكننا إلا الاعتراف بها، ولكن الأسباب محرمة كما ذكرنا في أن الأصل في أجزاء الآدمي التحريم ، وأن استعمالَ الدم استعمالٌ للدواء الخبيث، فقد أجبنا عن ذلك بأن العلة في تحريم الأجزاء إقامة حرمة الآدمي، ودفع الانتهاك الفظيع، وهذا مفقود هنا، وأما الدم، فليس عنه جواب، إلا أن نقول : إن مفسدته تنغمر في مصالحه الكثيرة، وأيضا ربما ندعي أن هذا الدم الذي ينقل من بدن إلى آخر، ليس من جنس الدم الخارج الخبيث المطلوب اجتنابه والبعد عنه، وإنما هذا الدم هو روح الإنسان وقوته وغذاؤه، فهو بمنزلة الأجزاء أو دونها، ولم يخرجه الإنسان رغبة عنه، وإنما هو إيثار لغيره، وبذل من قوته لقوة غيره، وبهذا يخف خبثه في ذاته وتلطفه في آثاره الحميدة، ولهذا حرم الله الدم المسفوح، وجعله خبيثاً، فيدل على أن الدماء في اللحم والعروق، وفي معدنها قبل بروزها ليست محكوماً عليها بالتحريم والخبث.

فقال الأولون : هذا من الدم المسفوح، فإنه لا فرق بين استخراجه بسكين أو إبرة أو غيرها ، أو ينجرح الجسد من نفسه، فيخرج الدم، فكل ذلك دم مسفوح محرم خبيث، فكيف تجيزونه. ولا فرق بين سفحه لقتل الإنسان أو الحيوان، أو سفحه للأكل، أو سفحه للتداوي به ؟

فمن فرق بين هذه الأمور فعليه الدليل .

فقال هؤلاء المجيزون : هب أنا عجزنا عن الجواب عن حل الدم المذكور ، فقد ذكرنا لكم عن أصول الشريعة ومصالحها ما يدل على إباحة أخذ جزء من أجزاء الإنسان لإصلاح غيره، إذا لم يكن فيه ضرر، وقد قـال الـنبي - ﷺ - : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) و (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد) .

فعموم هذا يدل على هذه المسألة، وأن ذلك جائز. فإذا قلتم : إن هذا في التوادد والتراحم والتعاطف كما ذكره النبي - ﷺ - لا في وصـل أعضـائه بأعضائه. قلنا : إذا لم يكن ضرر، ولأخيه فيه نفع، فما الذي يخرجه من هـذا ؟ وهل هذا إلا فرد من أفراده؟ كما أنه داخل في الإيثار، وإذا كان مـن أعظـم خصال العبد الحميدة مدافعته عن نفس أخيه وماله، ولو حصل عليه ضـرر في بدنه أو ماله، فهذه المسألة من باب أولى وأحرى، وكذلك من فضائله تحصـيل مصالح أخيه وإن طالت المشقة، وعظمت الشقة، فهذه كذلك وأولى .

وغاية الأمر أن هذا الضرر غير موجود في هذا الزمن، فحيـث انتقلـت الحال إلى ضدها، وزال الضرر والخطر، فلم لا يجوز ؟ !

ويختلف الحكم فيه لاختلاف العلة، ويلاحظ أيضا في هـذه الأوقـات التسهيل، ومجاراة الأحوال، إذا لم تخالف نصا شرعيا، لأن أكثـر النـاس لا يستفتون ولا يبالون، وكثير ممن يستفتي إذا أُفْتي بخلاف رغبته وهواه، تركـه ولم يلتزمه، فالتسهيل عند تكافؤ الأقوال، يخفف الشر، ويوجب أن يتماسـك الناس بعض التماسك، لضعف الإيمان، وعدم الرغبة في الخير، كما يلاحـظ أيضا أن العرف عند الناس أن الدين الإسلامي لا يقف حاجزا دون المصـالح

الخالصة، أو الراجحة، بل يجاري الأحوال والأزمان، ويتتبع المنافع والمصالح الكلية والجزئية، فإن الملحدين يموهون على الجهال، أن الدين الإسلامي لا يصلح لمجاراة الأحوال والتطورات الحديثة، وهم في ذلك مفترون، فإن الدين الإسلامي به الصلاح المطلق من كل وجه سواء في ذلك الكلي والجزئي، وهو حلال لكل مشكلة خاصة أو عامة وغير قاصر من جميع الوجوه )[الفتاوى السعدية:١٨٤- ١٨٩].

ولقد قال – رحمه الله- لتلميذه الشيخ عبد الله بن عقيل – حفظه الله-: (ولقد سرني ما شرحت من اعتنائك في القضايا في فهم الواقع، والحال التي تقع عليها الدعاوى، ثم إذا تصور لها حسب القدرة، نزلتها على الواجب، وهو الحكم الشرعي، فبهذه الأمور يتم القضاء.

فتمام الأول: معرفة أحوال أهل بلدك، ومعرفة الأشخاص، ومراتبهم في الخير، والشر، ومعرفة قرائن الأحوال المحتفة في القضايا المعينة، ولذلك كان سعي القاضي في البحث عن أحوال الناس والمجريات لهذا القصد، من العبادات في حقه إذا كان مضطراً إليها.

وتمام الثاني: المعرفة التامة بالأمور الشرعية الكلية وتحقيقها وتحققها وإطباقها على القضايا، وتمام هذا معرفة الأمور الكلية في القضاء، البينة على المدعي، واليمين على من أنكر، وعند معارضات الأمور تقديم الأصول والظواهر والقرائن والمرجحات، ثم معرفة الأحكام الشرعية، حكماً حكماً على وجه التفصيل تحريراً وتصويراً واستدلالاً، فإذا جعل الإنسان همه الكلي والجزئي في ذلك، واستعان الله وأخلص العمل، أعانه الله ويسر له كل عسير )[الأجوبة النافعة:٦٥-٦٦].

**المعلم الرابع: الجمع بين الغيرة على الحق والرحمة للخلق:**

فهو لم يلزم الناس بالحق قاطعاً النظر عن أحـوالهم، ولم يجعـل نظـره في أحوالهم وضعفهم سبباً في أن يجعلهم متفلتين من أحكام الله.

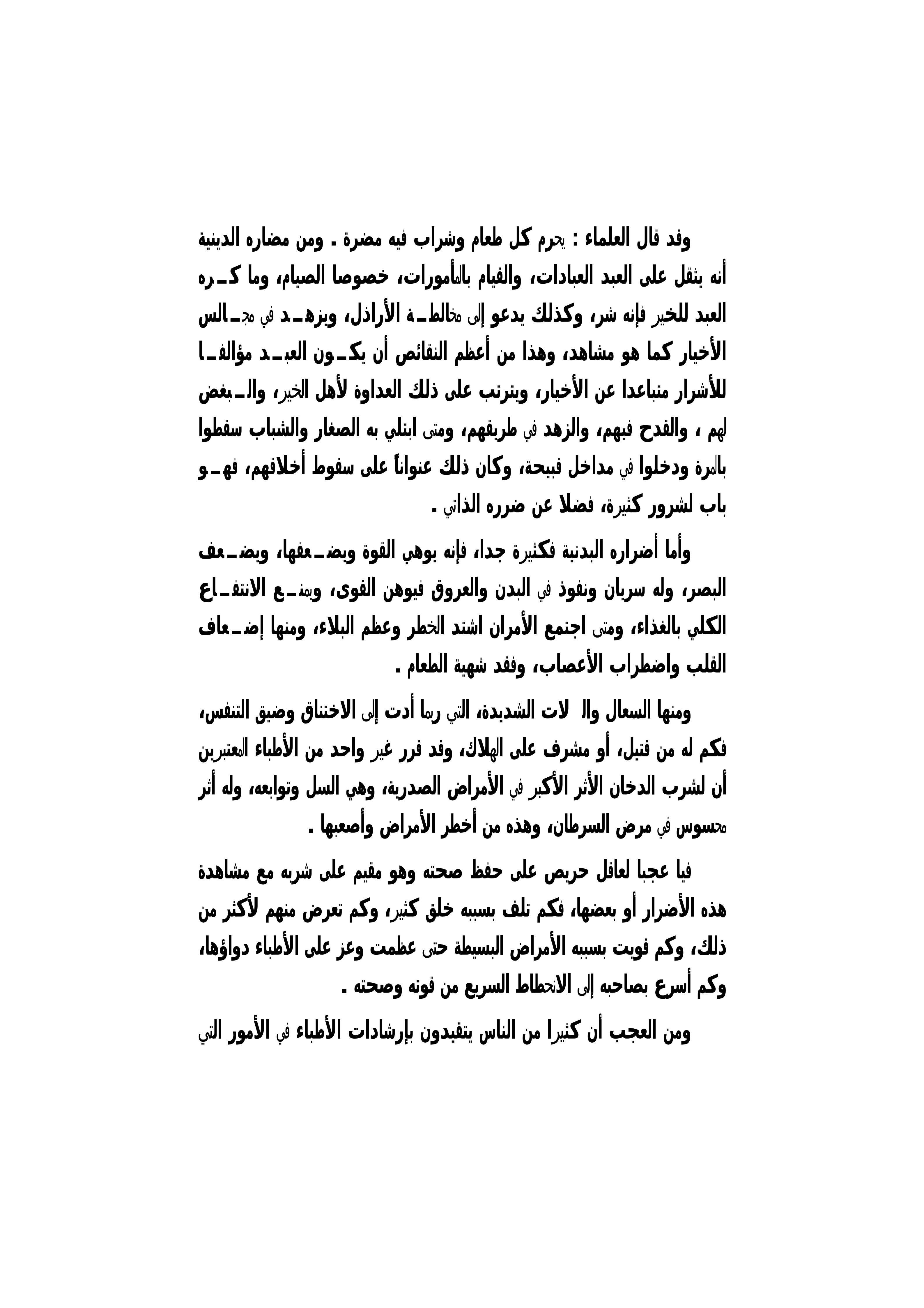
فهو عند بيان الحق –رحمه الله- تراه صريحاً واضحاً وضوح الشمس.

وقد أفتى بفتوى طويلة مفصلة في تحريم الدخان فقال-رحمـه الله-:( أمـا الدخان شربه، والاتجار به، والإعانة على ذلك، فهو حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شربا واستعمالا واتجارا، وعلى من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبةً نصـوحاً، كما يجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب، وذلك أنه داخل في عموم النصوص الدالة على التحريم ، داخل في لفظها العام وفي معناها، وذلك لمضاره الدينيـة، والبدنية، والمالية، التي يكفي بعضها في الحكم بتحريمه، فكيف إذا اجتمعت .

أما مضاره الدينية ودلالة النصوص على منعه وتحريمه فمن وجوه كثيرة :

منها قوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾[ سورة الأعراف، الآية: ١٥٧] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[ سورة البقرة: الآية ١٩٥]. وقوله : ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [سورة النساء : آيه ٢٩ ] .

فهذه الآيات وما أشبهها حرم الله بها كل خبيث أو ضـار ، فكـل مـا يستخبث أو يضر فإنه لا يحل، والخبث والضرر يعرف بآثاره وما يترتب عليـه من المفاسد، فهذا الدخان له مفاسد وأضرار كثيرة محسوسة، كل أحد يعرفهـا، وأهله من أعرف الناس بها، ولكن إرادا تهم ضعيفة، ونفوسـهم تغلبـهم مـع شعورهم بالضرر.


وقد قال العلماء : يحرم كل طعام وشراب فيه مضرة . ومن مضاره الدينية أنه يثقل على العبد العبادات، والقيام بالمأمورات، خصوصا الصيام، وما كـره العبد للخير فإنه شر، وكذلك يدعو إلى مخالطـة الأراذل، ويزهـد في مجـالس الأخيار كما هو مشاهد، وهذا من أعظم النقائص أن يكـون العبـد مؤالفـا للأشرار متباعدا عن الأخيار، ويترتب على ذلك العداوة لأهل الخير، والـبغض لهم ، والقدح فيهم، والزهد في طريقهم، ومتى ابتلي به الصغار والشباب سقطوا بالمرة ودخلوا في مداخل قبيحة، وكان ذلك عنواناً على سقوط أخلاقهم، فهـو باب لشرور كثيرة، فضلا عن ضرره الذاتي .

وأما أضراره البدنية فكثيرة جدا، فإنه يوهي القوة ويضـعفها، ويضـعف البصر، وله سريان ونفوذ في البدن والعروق فيوهن القوى، ويمنـع الانتفـاع الكلي بالغذاء، ومتى اجتمع الأمران اشتد الخطر وعظم البلاء، ومنها إضـعاف القلب واضطراب الأعصاب، وفقد شهية الطعام .

ومنها السعال والا لات الشديدة، التي ربما أدت إلى الاختناق وضيق التنفس، فكم له من قتيل، أو مشرف على الهلاك، وقد قرر غير واحد من الأطباء المعتبرين أن لشرب الدخان الأثر الأكبر في الأمراض الصدرية، وهي السل وتوابعه، وله أثر محسوس في مرض السرطان، وهذه من أخطر الأمراض وأصعبها .

فيا عجبا لعاقل حريص على حفظ صحته وهو مقيم على شربه مع مشاهدة هذه الأضرار أو بعضها، فكم تلف بسببه خلق كثير، وكم تعرض منهم لأكثر من ذلك، وكم قويت بسببه الأمراض البسيطة حتى عظمت وعز على الأطباء دواؤها، وكم أسرع بصاحبه إلى الانحطاط السريع من قوته وصحته .

ومن العجب أن كثيرا من الناس يتقيدون بإرشادات الأطباء في الأمور التي

هي دون ذلك بكثير، فكيف يتهاونون بهذا الأمر الخطير، ذلك لغلبة الهوى واستيلاء النفس على إرادة الإنسان، وضعف إرادته عن مقاومتها، وتقديم العادات على ما تعلم مضرته، ولا تستغرب حالة كثير من الأطباء الذين يدخنون، وهم يعترفون بلسان حالهم، أو لسان مقالهم بمضرته الطبية، فإن العادات تسيطر على عقل صاحبها وعلى إرادته ، ويشعر كثيرا أو أحيانا بالمضرة وهو مقيم على ما يضره .

(وهذه المضار التي أشرنا إليها إشارة، مع ما فيه تسويد الفم والشفتين والأسنان وسرعة بلائها وتحطمها وتآكلها بالسوس وا يار الفم والبلعوم، ومداخل الطعام والشراب، حتى يجعلها كاللحم المنهار المحترق تتألم مما لا يتألم منه) وكثير من أمراض الالتهابات ناشئة عنه، ومن تتبع مضاره وجدها أكثر مما ذكرنا.

وأما مضاره المالية فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إضاعة المال، وأي إضاعة أبلغ من حرقه في هذا الدخان الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، ولا نفع فيه بوجه من الوجوه، حتى إن كثيرا من المنهمكين فيه يغرمون الأموال الكثيرة، وربما تركوا ما يجب عليهم من النفقات الواجبة، وهذا انحراف عظيم، وضرر جسيم فصرف المال في الأمور التي لا نفع فيها منهي عنه، فكيف يصرفه بشيء محقق ضرره .

ولما كان الدخان بهذه المثابة مضراً بالدين والبدن والمال، كانت التجارة فيه محرمة، وتجارته بائرة غير رابحة، وقد شاهد الناس أن كل متجر فيه وإن استدرج ونما ماله في وقت ما، فإنه يبتلى بالقلة في آخر أمره ويكون عواقبه وخيمة .

ثم إن النجديين ولله الحمد، جميع علمائهم متفقون على تحريمه ومنعه، والعوام تبع للعلماء، فلا يسوغ ولا يحل للعوام أن يتبعوا الهوى ويتأولوا

ويتعللوا أنه يوجد من علماء الأمصار من يحلله ولا يحرمه، فإن هذا التأويل من العوام لا يحل باتفاق العلماء، فإن العوام تبع لعلمائهم، ليسوا مستقلين وليس لهم أن يخرجوا عن أقوال علمائهم، وهذا واجبهم كما قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [ سورة النحل : آية ٤٣ ].

وما نظير هذا التأويل الفاسد الجاري على ألسنة بعض العوام اتباعا للـهوى وليس اتباعا للحق والهدى، إلا كما لو قال بعضهم يوجد بعض علماء الأمصار لا يوجبون الطمأنينة في الصلاة فلا تنكروا علينا إذ اتبعناهم، أو يوجد من يبيح ربـا الفضل فلنا أن نتبعهم، أو يوجد من لا يحرم أكل ذوات المخالب من الطير فلنا أن نتبعهم ولو فتح هذا الباب لفتح على الناس شراً كبيراً، وصار سـببا لانحـلال العوام عن دينهم وكل أحد يعرف أن تتبع مثل هذه الأقوال - المخالفة لما دلـت عليه الأدلة الشرعية ولما عليه أهل العلم - من الأمور التي لا تحل ولا تجوز .

والميزان الحقيقي هو: ما دلت عليه أصول الشرع وقواعده، وقد دلت على تحريم الدخان لما يترتب عليه من المفاسد والمضار المتنوعة، وكل أمر فيه ضرر على العبد في دينه، أو بدنه، أو ماله، من غير نفع فهو محرم : فكيف إذا تنوعت المفاسد وتجمعت؟ أليس من المتعين شرعا وعقلا وطبا تركه، والتحذير منه، ونصيحة مـن يقبل النصيحة ؟ فالواجب على من نصح نفسه وصار لها عنده قدر وقيمة أن يتوب إلى الله عن شربه، ويعزم عزما جازما مقرونا بالاستعانة بالله، لا تردد فيه ولا ضعف عزيمة، فإن من فعل ذلك أعانه الله على تركه، وهون عليه ذلك .

ومما يهون عليه الأمر أن يعرف أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منـه، وكما أن ثواب الطاعة الشاقة أعظم مما لا مشقة فيه، فكـذلك ثـواب تـارك معصية إذا شق عليه الأمر وصعب أعظم أجراً وأعظم ثواباً فمن وفقه الله وأعانه

على ترك الدخان فإنه يجد المشقة في أول الأمر، ثم لا يزال يسلو شيئاً فشـيئاً حتى يتم الله نعمته عليه فيغتبط بفضل الله عليه، وحفظه وإعانته، وينصح إخوانه بما ينصح به نفسه، والتوفيق بيد الله، ومن علم الله من قلبه صدق النية في طلب ما عنده بفعل المأمورات وترك المحظورات يسره لليسرى وجنبه العسرى وسهل له طرق الخير كلها، فنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الخير، وأن يحفظنـا مـن الشر إنه جواد كريم رءوف رحيم )[ الفتاوى السعدية:٥٥٢-٥٥٥].

وهو في تعامله مع المدخنين لم يكن عنيفاً غليظاً، بل يتلطف ـم رجـاء تركهم لهذا العمل الذي قال عنه:(حرام لا يحل لمسلم تعاطيه شرباً واسـتعمالاً واتجاراً، وعلى من كان يتعاطاه أن يتوب إلى الله توبةً نصوحاً).

❁ ❁ ❁

وفي الجملة فملامح منهج الشيخ في تعامله مع المستجدات والنوازل أوسع من أن يحصر الكلام فيه بوقت كهذا.

وأدعو طلبة العلم لقراءة فتاوى الشيخ ورسائله الموجهة لبعض تلاميذه.

وأحسب أن من قرأها سيكتسب فقهاً من فقه العلم، وفقه النفس، وفقـه القول يستقيم به.

أسأل الله أن يعظم للشيخ الأجر والثواب، وأن يلحقنا به في الصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسـان إلى يوم الدين.

**جهود الشيخ عبدالرحمن السعدي**

**في خدمة السلفية من خلال مؤلفاته وأعماله**

**للدكتور/ محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد**

أتمنى من أهل هذا البلد الطيب المبارك أهل عنيزة، وهم أحفياء بالشـيخ عبدالرحمن، أن يسجلوا المواقف التي رأوها أو سمعوها من آبائهم أو أجدادهم، وربما بعضهم يقول هذا موقف لا يستحق، ولكنه قد يكون كبيراً عند النـاس، فآمل منهم أن يتكرموا، وأن يتبنى هذا المركز المهمة وأن يجمع هذه المواقـف، ولعلها تجمع في كتاب كما تفضل المهندس ، ويكون لها اثر

إن شاء الله، وللشيخ عبد الرحمن مواقف كثيرة، يرويها الناس، وتتناقلـها الأجيال التي عاصرته حتى يومنا هذا، ولا يزال الناس يسـمعون بـين الفينـة والأخرى أطرافا من سيرة الشيخ رحمه الله .

ولعل من آخرها ما دون في هذا الصدد في الأوراق المخطوطة، التي أملاها ابنه محمد، وأعدها حفيده الأستاذ مساعد، وزاد عليه ما يعلمه من سيرة جده.

وقد يسر لي أن أجلس مع بعض آل الشيخ وأقاربه، وأن أسمع منهم بعض الأخبار، التي يسر له تدوينها، في كتاب ضمن كتاب اسمه (تراجم تسعة أعلام) ولا أريد أن اجعل له دعاية، ولكن جواباً لكلام المهندس، وقد حظيت ترجمـة الشيخ بالنصيب الأوفى، حيث تصل تقريبا إلى مئة وأربعين صفحة، ولعلها تفرد إن شاء الله ، وأكثرها من مواقف الشيخ مع أهل بيته، ومـع جيرانـه ومـع أصحابه، فهذه هي الترجمة العملية الحقيقية للشيخ، والذي يقرأ كتبه وينظر في سيرته يجد العلم والعمل، يجد أ ما متطابقان من المواقف، وهذا موقف يـبين أن الشيخ كان يمازح أصحابه ويلاطفهم، يقول ابنه محمد كان للوالد الشيخ صديق

عزيز اسمه عبد العزيز الدامغ – رحمه الله-.

يقول: في يوم من الأيام كان الشيخ يمشي مع صاحبه عبدالعزيز الدامغ، في جماعة من الناس، وكانوا يتحدثون عن الأعمار، والإنسان إذا تعدى الخمسين بدأ يتحدث عن الأعمار، كما هي عادة كثير من الناس، وكان عمر الدامغ المذكور آنذاك إحدى وستين سنة، فقال الشيخ عبدالرحمن: يا أخ عبد العزيز يكفيك عمر النبي صلى الله عليه وسلم.

- يعنى ثلاث وستين سنة، ومعنى ذلك أنه بقي له سنتان فحسب –

فقال عبدالعزيز الدامغ : حسناً، ولكن تبتدي يا شيخ من الآن .

_ ومعنى ذلك أن يكون عمره أربع وعشرين ومئة سنة، فضحك الشيخ، وأعجب بسرعة بديهة صاحبه، وهذا موقف يدل على ملاطفته للناس، ويقول ابنه محمد: كان الشيخ كثيراً ما يوافق على الدعوات التي توجه إليه من الصغار ومن الكبار، كي يتناول القهوة، وفي أواخر شهر ذي الحجة من إحدى السنوات، دعاه أحد أصدقائه، ولكن الشيخ اعتذر مازحاً أنا عندي مواعيد كثيرة، فألح عليه صاحبه، وبدا منه الغضب لرد الشيخ، فقال له الشيخ إذا يكون موعدك أول السنة القادمة، فغضب صاحبه وقال أنت لا تريد دخول مالي؟ فقال له الشيخ: يا أخي يوم الثلاثاء القادم هو بداية السنة الجديدة، أي بعد يومين، أما علمت أننا في أخر السنة فطابت حينئذ نفس صاحبه، وأدرك أن الشيخ يمازحه، وهذا موقف يدل على حسن أخلاق الشيخ، وفي السفر: كان الشيخ حاجاً على الإبل ومعه جماعة، منهم: إبراهيم بن محمد البسام، وسليمان بن إبراهيم البسام، وكان سليمان المذكور راكبا على الجمل الذي عليه قرب الماء، ولما وصلوا مكة وأدوا المناسك، وحان وقت وصولهم إلى عرفات، تفرقوا وأضاع بعضهم بعضا فصار الجماعة ينتظرون سليمان البسام، لأن الماء معه، وهم يريدون الوضوء

والشرب، وعمل الشاي والقهوة، وليس عندهم ماء، ولم يلتقوا إلا في منى، وكان آخرهم وصولاً سليمان، فلما وصل قام إبراهيم البسام يعاتب صـاحبه مازحـا، ويقول له: أين أنت، لماذا تأخرت؟ مؤكد انك ضائع، ولما علم سليمان أن الشيخ عبد الرحمن كان من ضمن الضائعين، التفت إليهم وقال: لماذا يقع اللـوم علـي وهذا كبيرهم الذي علمهم السحر - ويعني به الشيخ ضاع قبلـي، فلمـاذا لم يعاتب؟ فقال له إبراهيم: نحن نريد الماء الذي معك، فضـحك الشـيخ لمقولـة سليمان، فصار يرددها ويقول هداك الله يا سليمان، شبهتنا بسحرة فرعون، وقال له الشيخ باللهجة العامية الدارجة (هذي تبي حق) .

وهذا موقف آخر يبين حب الشيخ للناس، وحرصه على نفعهم، يقول ابنه محمد: في يوم من الأيام كان الوالد يتناول طعام العشاء، مع أخي أحمد فطـرق الباب طارق من غير أهل البلد يريد الوالد الشيخ، ففتح له الأخ أحمد وقـال الشيخ يكون موجوداً بعد قليل، وكان قصد أخي أحمد أن يكمل الوالد طعامه فانصرف الطارق ورجع الأخ أحمد وأكمل عشاءه، فسأله الوالد من كان عنـد الباب؟ فقال الأخ: رجل يسال عنك فصرفته وقلت: ارجع بعد قليل، فتكـدر الوالد ولعل هذا من سر بركة الشيخ -رحمة الله- بركة وقته وعلمه، وعاتـب أخي وقال له : يا ولدي إن قيامي وإجابتي السائل أحب إلى من جلستي علـى العشاء، ثم قام -رحمه الله- دون أن يكمل عشاءه وقال لأخي أحمد: لا تعد لمثل هذا أصلحك الله.

وهذا أيضاً موقف يبين حلم الشيخ، و سعة صدره، ورحمتـه بالصـغار، وبعده عن التعنيف عليهم، يقول ابنه محمد: كانت الوالدة رحمها الله قادمة مـن الحج، وفي ذلك اليوم كان عند الوالد ابن صغير لأخي أحمـد، عمـره ثـلاث سنوات، وإذا جاء الليل أرسلوه إلى أمه، وفي الليلة الأولى لوصول الوالد مـن

الحج ،لعب الولد الصغير بساعة الوالدة التي تنبهه للقيام في آخر الليل، فنـام الوالد، والساعة مقفلة، فلم يقم تلك الليلة، ولم يصل الفجر بالجماعـة، ولمـا صلى عصر ذلك اليوم بالجماعة، وكانوا كثيرين في ذلك الوقت، لقرب المسجد من السوق، شرع عبدالعزيز بن محمد البسام أحد طلبة الوالد، يقرأ كالعـادة والوالد يشرح، وفي تلك الأثناء قام أحد الصغار، وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبدالمحسن البسام، وكان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة، قال بصوت مرتفع يخاطب الشيخ وهو يشرح و الناس يستمعون: هنأك الأول يابا عبدالله –يعني أنا أول من يهنئك بسلامة الوصول – يقول هنأك الأول يابا عبدالله، يعني الشـيخ عبدالرحمن، قرت عينك بأم عبدالله –يعني زوجة الشـيخ – الحمـد لله علـى السلامة، الفجر ما صليت بالجماعة، الظاهر أم عبدالله نايمه على راسك، لا تعد لذلك مرة أخرى، الموقف هذا ممكن أن يصنع منه قضية، يقول ما كـان مـن الشيخ إلا أن ضحك، ولم يستطع إكمال الدرس من الضحك، وهكذا الجماعة، ثم قام الشيخ الوالد عبدالرحمن من مكانه إلى الصبي عبدالرحمن البسام، وأعطاه ريالين عربي، فضه لأنه سر من كلامه، وكان سبباً في سرور المصلين، فصـارت تلك الحادثة حديث ا الس في تلك الأيام، فانظر إلى هـذا الحلـم وإلى هـذه الحكمة، وانظر إلى حسن التصرف، حيث جعل من ذلك الموقف سبباً للسرور والبسط ، فماذا لو عنف ذلك الصبي؟ وما أثر ذلك عليه وعلى والديه، وعلى جماعة المسجد؟ ولكنه الخلق، والأخذ بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

ثم عاد الدكتور محمد الحمد قائلاً:

الحمد لله رب العالمين، وصلى لله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

**فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .**

**ولعل من حسن حظي، ومن حسن حظ مدير هذه الندوة، أني قد سبقت، وقد تكلم المشائخ الأفاضل، بكثير مما كنت سأقوله، على حد قول أبوالطيب:**

**أتى الزمان بنوه في شبيبته فسره ما آتيناه على الهرمي**

**وأقول: إن الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- قد خدم المنهج السلفي خدمه جليلة من خلال مصنفاته، أو من خلال تعامله ومن خلال أخلاقه.**

**ولا أريد أن أطيل ولعلي أقف عند مصنفاته و آثاره فحسب، فقـد أوتي قلماً سيالاً، وقد أوتي بياناً رائعاً، هو من فصيلة السهل الممتنع، السهل فهمـه، الممتنع على من يريد أن يقول مثله، فكلامه يفهمه كل أحد ولكن إذا رمت أن تقول مثله، ربما يتعذر على الكثيرين .**

**وقد خدم المنهج السلفي أيما خدمه عظيمة من خـلال هـذه المصـنفات العظيمة، من خلال تطرقه لمنهج السلف، بالاستدلال، وقد كان يسـير وفـق منهج السلف باستدلاله، وقد كان يتعامل كما كانوا يتعـاملون في اسـتنباط الأحكام، وفي بيان العقيدة بل ربما أتى على كثير من أبواب الفقه، أن لم يـأت على أكثرها .**

**وتكلم على كثير من أبواب الأخلاق، التي كان السلف يتمثلو ا ويقومـون ا.**

**وقد ألف المؤلفات العديدة، لعلي أسرد بعضها ،ثم أقف على أهمها..**

**من تلك الكتب ( الأدلة القواطع و البراهين، في إبطال أصول الملحـدين) في وقت كانت الشيوعية تضرب بأطنا ا، في كثير من بلدان العالم الإسـلامي، وقد تأثر ا كثيرون، فكان رحمه الله يضرب على هذا الوتر، ويـبين ويبطـل أصول الملاحده، وقد أنقذ الله به فئاماً كثيراً، لا يحصيها إلا الله عز وجل ..**

ومن ذلك كتاب اسمه (انتصار الحق) وأظن انه نشره في مجلة المنـهل عـام ١٣٦٧للهجرة، وهي على شكل مناظرة بين اثنين، أحدهما ملحد، والآخر متردد، وفي الأخير انتصر هذا الذي يريد أن يجر صاحبه الملحد إلى الإلحاد جره صاحبه إلى الحق، عندما بين طريق الحق وبين له أصول الإيمان، وبين له ما يترتب على الإيمان من السعادة، وما يترتب على الإلحاد من الشقاوة في الدنيا والآخرة.

وكذلك له كتاب اسمه (الإرشاد إلى معرفـه الأحكـام) و (إرشـاد أولي البصائر والألباب) و ( بجة قلوب الأبرار)، و قد شرح فيه تسعة وتسعين حديثاً شرحاً عظيماً سهلاً ممتنعاً.

وقد تطرق لأمور كثيرة .

وميزته -رحمه الله- أنه يأخذ هذه الأحاديث، ثم ينزلها على واقع النـاس، وما يحتاجون إليه، ويتطرق لأمور استجدت حتى ربما تعجب من انـه يتطـرق لأمور حديثة كما تفضل الشيخ الدكتور عبدالرحمن .

ثم أيضا يتطرق إلى أمور قد لا تخطر على بال فقد تحدث في بعض كتبه عن الرياضة، وبين الرياضة كيف تكون نافعة، وكيف تكون مضرة لأصحا ا، وبين أن الإنسان يحتاج إلى تقوية بدنه، ويحتاج إلى أنواعٍ من الرياضة، وبين أهـدافها وغايا ا، ولكن إذا صارت الرياضة بحد ذا ا غاية، فانه بين هذا المعنى بياناً طيباً محبباً مرغباً مقرباً .

كذلك له كتاب ( توضيح الكافية الشافية ) شرح فيها أبياتاً من نونية ابن القيم.

وله (التنبيهات اللطيفة، فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفـة) وأظن أن هذا أول شرحٍ للعقيدة الواسطية، شرحاً ميسراً لطيفاً، وأظن انـه لم يسبق إلى شرح الواسطية.

وكذلك له (تنزيه الدين وحملته، ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) ويذكر أن القصيمي يقول: هذا هو أشد الردود علي، لأنه هو أيسرها وأسهلها وأقواها حجه ومنطقاً، من دون أن يتهجم عليه، أو يسئ إليه بكلمة ليست من صلب الموضوع .

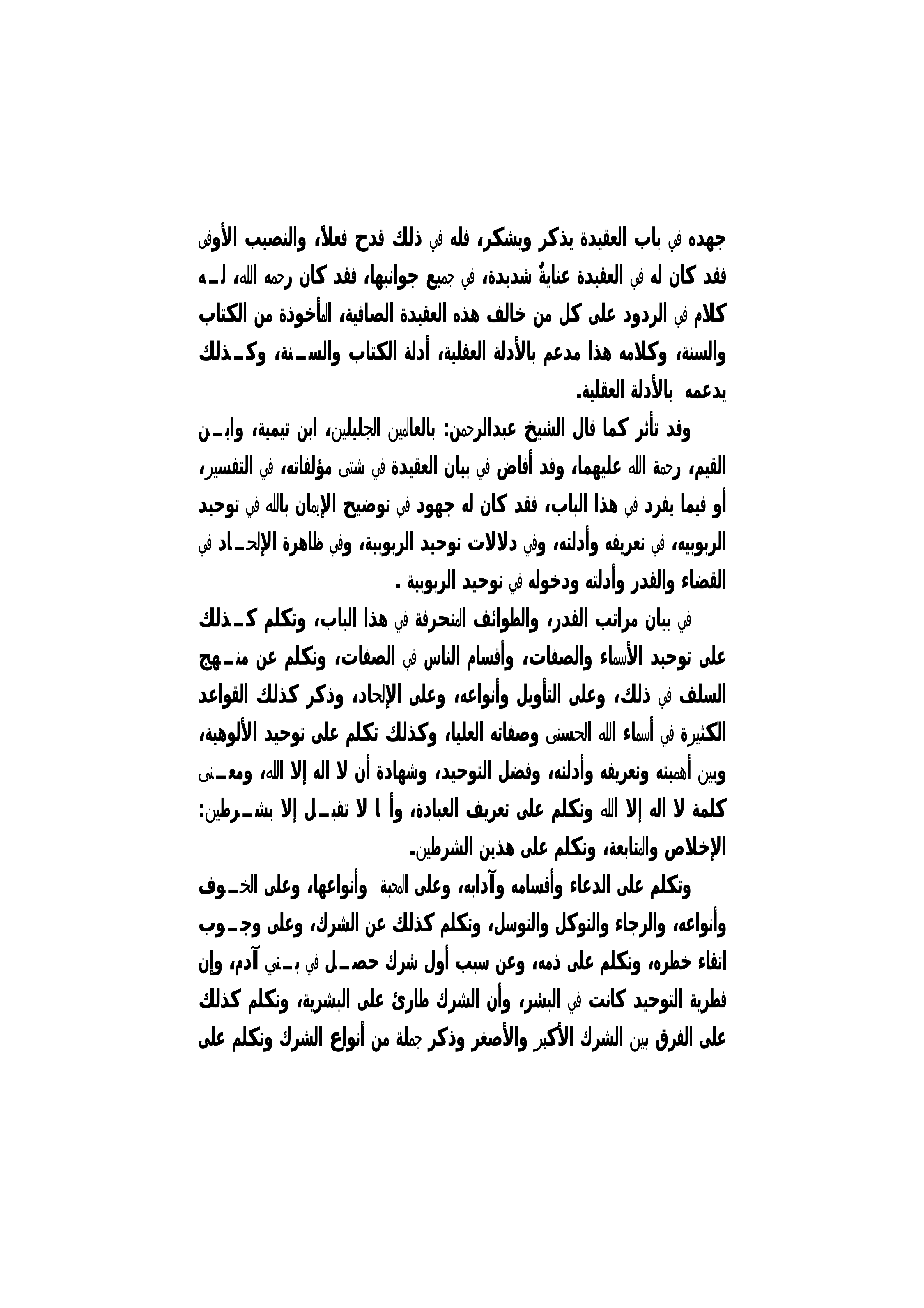
كذلك التفسير العظيم (تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان) الذي شرق وغرب، والذي هو في الحقيقة: تفسير يخاطب القلوب، وله طريقه عجيبة عظيمة، حيث انه لم –وقد ذكرها في منهجه –لم يحل إلى قصة سابقه، فمثلاً في قصة موسى، المفسرون إذا تكلموا عليها في سورة (القصص) أحالوا إلى ما ذكر في سورة (طه) هو أما في أي قصة يتطرق إليها، فإنه يشرحها بما تحتويه هذه القصة في هذا السياق فحسب، لأنه يقول: كل ما ورد في القرآن له دلاله، وله هداية خاصة.

كذلك له: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسر القرآن في جلد واحد).

وله كذلك: (الحق الواضح المبين) وله: (حكم شرب الدخان) بينه بياناً عظيماً، وقد قدم له الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله -، وقد أثنى على هذه الرسالة أيما ثناء.

وله كذلك ( الدرة البهية، في شرح القصيدة التائية، وله كذلك: (الدين الصحيح يحل جميع المشكلات) و (القواعد الحسان لتفسير القرآن) وله (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم) وله: ( مجموعة الخطب والمواهب الربانية) إلى غير ذلك من المؤلفات المليئة بالنظرات الثاقبة، واللفتات البارعة، والاستنباطات الدقيقة، التي تدل على ذكاء وعبقرية، وسعة الأفق وتدبر للعواقب، ونظراً في المقاصد العليا والمصالح العامة ..

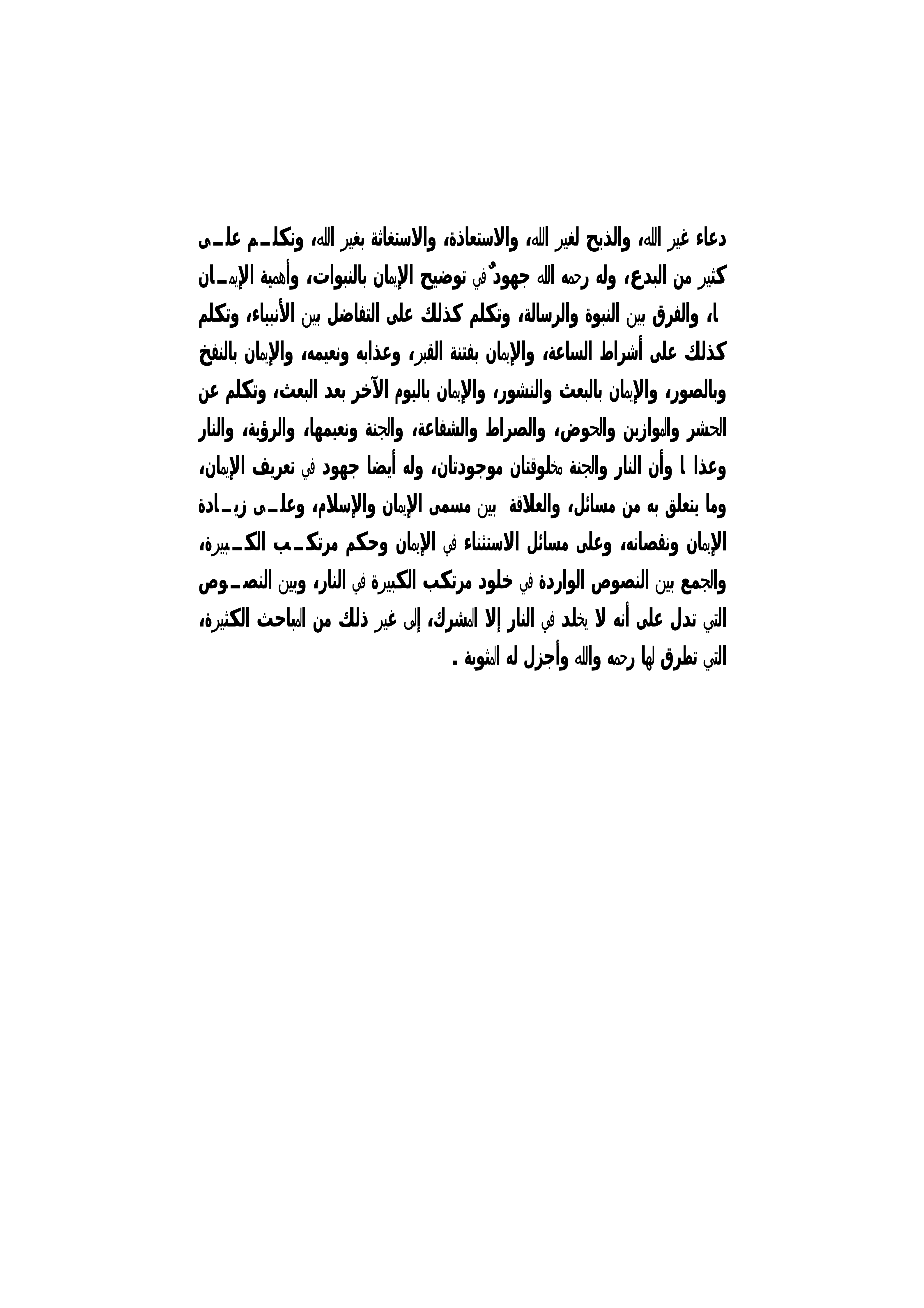
ولئن كان الشيخ -رحمه الله- قد خدم منهج السلف في شتى الفنون، فإن


جهده في باب العقيدة يذكر ويشكر، فله في ذلك قدح فعلاً، والنصيب الأوفى فقد كان له في العقيدة عنايةٌ شديدة، في جميع جوانبها، فقد كان رحمه الله، لـه كلام في الردود على كل من خالف هذه العقيدة الصافية، المأخوذة من الكتاب والسنة، وكلامه هذا مدعم بالأدلة العقلية، أدلة الكتاب والسـنة، وكـذلك يدعمه بالأدلة العقلية.

وقد تأثر كما قال الشيخ عبدالرحمن: بالعالمين الجليلين، ابن تيمية، وابـن القيم، رحمة الله عليهما، وقد أفاض في بيان العقيدة في شتى مؤلفاته، في التفسير، أو فيما يفرد في هذا الباب، فقد كان له جهود في توضيح الإيمان بالله في توحيد الربوبيه، في تعريفه وأدلته، وفي دلالات توحيد الربوبية، وفي ظاهرة الإلحـاد في القضاء والقدر وأدلته ودخوله في توحيد الربوبية .

في بيان مراتب القدر، والطوائف المنحرفة في هذا الباب، وتكلم كـذلك على توحيد الأسماء والصفات، وأقسام الناس في الصفات، وتكلم عن منـهج السلف في ذلك، وعلى التأويل وأنواعه، وعلى الإلحاد، وذكر كذلك القواعد الكثيرة في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وكذلك تكلم على توحيد الألوهية، وبين أهميته وتعريفه وأدلته، وفضل التوحيد، وشهادة أن لا اله إلا الله، ومعـنى كلمة لا اله إلا الله وتكلم على تعريف العبادة، وأ ا لا تقبـل إلا بشـرطين: الإخلاص والمتابعة، وتكلم على هذين الشرطين.

وتكلم على الدعاء وأقسامه وآدابه، وعلى المحبة وأنواعها، وعلى الخـوف وأنواعه، والرجاء والتوكل والتوسل، وتكلم كذلك عن الشرك، وعلى وجـوب اتقاء خطره، وتكلم على ذمه، وعن سبب أول شرك حصـل في بـني آدم، وإن فطرية التوحيد كانت في البشر، وأن الشرك طارئ على البشرية، وتكلم كذلك على الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر وذكر جملة من أنواع الشرك وتكلم على



دعاء غير الله، والذبح لغير الله، والاستعاذة، والاستغاثة بغير الله، وتكلم على كثير من البدع، وله رحمه الله جهودٌ في توضيح الإيمان بالنبوات، وأهمية الإيمان ا، والفرق بين النبوة والرسالة، وتكلم كذلك على التفاضل بين الأنبياء، وتكلم كذلك على أشراط الساعة، والإيمان بفتنة القبر، وعذابه ونعيمه، والإيمان بالنفخ وبالصور، والإيمان بالبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر بعد البعث، وتكلم عن الحشر والموازين والحوض، والصراط والشفاعة، والجنة ونعيمها، والرؤية، والنار وعذا ا وأن النار والجنة مخلوقتان موجودتان، وله أيضا جهود في تعريف الإيمان، وما يتعلق به من مسائل، والعلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام، وعلى زيادة الإيمان ونقصانه، وعلى مسائل الاستثناء في الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة، والجمع بين النصوص الواردة في خلود مرتكب الكبيرة في النار، وبين النصوص التي تدل على أنه لا يخلد في النار إلا المشرك، إلى غير ذلك من المباحث الكثيرة، التي تطرق لها رحمه والله وأجزل له المثوبة .